قصيدة عائشة التيمورية
في رثاء ابنتها
دراسة بلاغية نقدية

إعداد دكتورة

منى محمد على عيد

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الاسلامية والعربية

بسوهاج

قصيدة عائشة التيمورية في رثاء ابنتها
دراسة بلاغية نقدية

إعداد : دكتورة
منى محمد على عيد
مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
بسوهاج

١ ــ إن سال من غرب العيون بحور
فالدهر باغ والزمان غدور

٢ ــ فلكل عين حق مدرار الدما
ولكل قلب لوعة وثبور

٣ ــ ستر السنا وتحجبت شمس الضحا
وتغيبت بعد الشروق بدور

٤ ــ ومضى الذى أهوى وجرعنى الأسا
وغدت بقلبى جذوة وسعير

٥ ــ ياليته لما نوى عهد النوى
وافى العيون من الظلام نذير

٦ ــ ناهيك ما فعلت بماء حشاشتى
نار لها بين الضلوع زفير

٧ ــ لو بث حزنى فى الورى لم يلتفت
لمصاب قيس والمصاب كثير

٨ ــ طافت بشهر الصوم كاسات الــردى
ســحراً وأكــواب الدمــوع تــدور
٩ ــ فتنــاولت منهــا ابنتى فتغــيرت
وجنــات خــد شــأنها التغيــير
١٠ــ فذوت أزاهــير الحيــاة بروضــها
وانقــد منهــا مــائس ونضــير
١١ــ لبست ثيــاب السقم فى صغر وقــد
ذاقــت شــراب المــوت وهــو مريــر
١٢ــ جاء الطبيب ضحى وبشــر بالشــفا
إن الطبيــب بطبــه مغــرور
١٣ــ وصــف التجرع وهــو يزعم أنــه
بالبــرء مــن كــل الســقام بشــير
١٤ــ فتنفســت للحــزن قــائلة لــه
عجــل ببــرئى حيث أنــت خبــير
١٥ــ وارحــم شبابى إن والدتى غــدت
ثكــلى يشــير لهــا الجــوى وتشــير
٢٨ــ صونى جهاز العرس تذكــاراً فــلى
تشــكو السهاد وفى الجفــون فتــور
١٧ــ لمــا رأت بــأس الطبيب وعجــزه
قــالت ودمــع المقــلتين غــزير
١٨ــ أمــاه قــد كــل الطبيب وفــاتنى
ممــا أؤمــل فى الحيــاة نصــير
١٩ــ لــو جــاء عــراف اليمامة يبتــغى
بــرئى لــرد الطــرف وهــو حســير
٢٠ــ يا روع روحى حلهــا نزع الضــنا
عمــا قليــل ورقهــا ســتطير

٢١ــ أمــاه قــد عــز اللقــاء وفى غــد
ســترين نعــشى كالعــروس يســير
٢٢ــ وسينتهى المسعى إلى اللحــد الذى
هــو منــزلى ولــه الجمــوع تصــير
٢٣ــ قولى لــرب اللحــد رفقــاً بابنتى
جــاءت عروســاً ســاقها التقــدير
٢٤ــ وتجــلدى بــازاء لحــدى برهــة
فتــراك روح راعهــا المقــدور
٢٥ــ أمــاه قــد ســلفت لنــا أمنيــة
يا حسـنها لــو ســاقها التيســير
٢٦ــ كــانت كأحــلام مضــت وتخلفــت
مــذ بــان يــوم البين وهــو عســير
٢٧ــ عــودى إلى ربــع خــلا ومآثــر
قــد خلفــت عــنى لهــا تأثــير
٢٨ــ صونى جهاز العرس تذكــاراً فــلى
قــد كــان منــه إلى الزفاف ســرور
٢٩ــ جــرت مصــائب فرقتى بعــد ذا
لبــس الســواد ونفــذ المســطور
٣٠ــ والقبر صــار لغصن قدى روضــة
ريحانهــا عنــد المــزار زهــور
٣١ــ أمــاه لا تنــسى بحــق بنــوتى
قبــرى لئــلا يحــزن المقبــور
٣٢ــ ورجــاء عفــو أو تــلاوة منــزل
فســواك من لــى بالحنيــن يــزور
٣٣ــ فلعلمــا أحــظى برحمــة خــالق
هــو راحــم بــر بنــا وغفــور

٣٤ــ فأجبتها والدمع يحبس منطقى
والدهر من بعد الجوار يجور
٣٥ــ بنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى
قد زال صفو شأنه التكدير
٣٦ــ لا توصى ثكلى قد أذاب وتينها
حزن عليك وحسرة وزفير
٣٧ــ قسماً بغض نواظرى وتلهفى
مذ غاب إنسان وفارق نور
٣٨ــ وبقبلتى ثغراً تقضى نحبه
فحرمت طيب شذاه وهو عطير
٣٩ــ والله لا أسلو التلاوة والدعا
ما غردت فوق الغصون طيور
٤٠ــ كلا ولا أنسى زفير توجعى
والقد منك لدى الثرى مدثور
٤١ــ إنى ألفت الحزن حتى أننى
لو غاب عنى ساءنى التأخير
٤٢ــ قد كنت لا أرضى التباعد برهة
كيف التصبر والبعاد دهور
٤٣ــ أبكيك حتى نلتقى فى جنة
برياض خلد زينها الحور
٤٤ــ إن قيل عائشة أقول لقد فنى
عيشى وصبرى والاله خبير
٤٥ــ ولهى على (توحيدة) الحسن التى
قد غاب بدر جمالها المستور
٤٦ــ قلبى وجفنى واللسان وخالقى
راض وباك شاكر وغفور

٤٧ــ متعت بالرضوان فى خـلد الرضـا
ما ازينت لـك غـرفة وقصـور
٤٨ــ وسمعت قـول الحق للقـوم ادخلوا
دار السـلام فسـعيكم مشـكور
٤٩ــ هـذا النعيـم بـه الأحبـة تلتقى
لا عيـش إلا عيشـة المبـرور
٥٠ــ ولك الهنـاء فصـدق تاريخى بـدا
توحيـدة زفـت ومعهـا الحـور

التمهيـــــد

إن دراســة البــلاغة دراســة تطبيقية من خــلال النصــوص الأدبيــة الرفيعــة هــدف من أهــداف البــلاغة وحقــل بكــر ، يــؤتى ثمــاره العظيمــة وذلك أن عــلم البــلاغة شــأنه شــأن العلوم الأخــرى يتطــور من قــرن إلى قــرن • لــذا كان لزامــاً علينــا دراســة البــلاغة دراســة تطبيقية إذ أنهــا تــؤتى ثمارهــا البلاغية المرجــوة من الدراســة النظرية لقواعــد وأسس البــلاغة وذلك للكشف عن وقائعها ، وبيــان أسرارهــا فكثــير من الدارســين إذا سألتهم عن معنى الاستعارة مثــلا أجابوا وعن الاجراء لا يخلو قولهــم من شــبه « كــذا » « بكــذا » وحــذف « كــذا » وأتى بصفة من صفات « كــذا » فى المكنيــة • ولو طلبت منهم تعيين ذات الاســتعارة من نــص أدبى عجــزوا ••

وأرى أن ســبب ذلك ينحصــر فى :

١ ــ التلقين والحفــظ الذى لا يتجــاوزه الدارس إلى التطبيــق •

٢ ــ الاقتصــار على الشــواهد الموروثة فى كتب التــراث •

ومن ثم كــانت هــذه الفــكرة التى راودتنى حين قرأت هــذه القصــيدة أن أفتــح مجــالا جــديداً للتطبيق العمــلى للدارســين ليتفهمــوه وليتذوقوه ويحكمــوا عليــه بالجــودة أو الــرداءة ثــم يتأثروا بــه فى أثنــاء قيامهم بخــدمة دينهــم ووطنهــم ومجتمعهم ليســير الأدب والبــلاغة فى إتجاههما الصــحيح ، كمــا أن هــذه النصوص تفتــح مجــالا لبعض النــكات البلاغية التى تثرى البلاغة العربيــة •••

« ترجمـــة لعائشـــة التيمـــورية »

عائشـــة التيمـــورية ... إســـمها ... ولقبهـــا :

تتفق المراجـــع التى تعرضت لعائشـــة التيمورية على كثـــير مما تذكـــره عن حياتهـــا .. إســـماً ومولـــداً .. نشـــأة ووفـــاة ..

هى عائشـــة عصمت بنت اسماعيل « باشـــا » ابن محمد كاشـــف تيمـــور .

بعض المراجـــع تختصر هـــذا الاســـم فتقف بنـــا عند جدهـــا الأول أو الثـــانى ، وتنسب إلى مصـــر حيث ولـــدت بهـــا ســـنة ١٢٥٦ هـ ، ســـنة ١٣٢٠ م . فتتفق المراجـــع على الســـنة التى ولدت فيهـــا(١) .

أســـرة عائشـــة التيمـــورية :

تذكـــر المراجـــع التى تحـــدثت عن عائشـــة التيمورية أنهـــا تزوجت بـــ محمـــد توفيـــق « بـــك » الاسلامبولى فانتقلت معـــه إلى الآستانة ســـنة ١٢٧١ هـ وتوفى والدهـــا ســـنة ١٢٨٩ هـ وبعـــده زوجهـــا ســـنة ١٢٩٢ هـ فعـــادت إلى مصـــر ... وهى شقيقة لأحمد تيمـــور باشـــا(٢) .

---

(١) ينظر اعـــلام النساء فى عالمى العـــرب والاسلام تاليف عمر رضـــا كحـــالة ١٦٢/٣ ، مؤسســـة الرسالة . والأعلام للزركلى ٢٤٠/٣ ، وهدية العارفين ٤٣٦/١ ، معجـــم المطبوعات ١٢٥٦ ـ ١٢٥٨ ، وايضاح المكنون للبغدادى ٤٢٠/١ ، وفهرس دار الكتب المصرية ٨٩/٣ ، ٣٤٧ ، ٤٠٢ ، ١٢٢/٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ .

(٢) ينظـــر المراجع السابقة .

كانت لها إبنة وحيدة توفيت فى سن الثامنة عشرة من عمرها فاستولى عليها الحزن والأسف الشديد ، وظلت على حالها هكذا من عديد ونواح وبكاء حتى أصابها مرض العيون فنصحها الناصحون حتى أقلت عن البكاء فشفاها الله مما نزل بعيونها(٣) .

« حياة عائشة التيمورية وأطوارها »

درست فى مصر فأخذت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية فبرعت فيهما ، وأخذت الصرف واللغة الفارسية على خليل رجائى ، وأخذت القرآن الكريم والخط والفقه على إبراهيم مؤنس ، ثم تطلعت نفسها الى الكتب الأدبية أخذت تطالعها وكذا الدواوين الشعرية . فطالعتها مطالعة جيدة هيأت لها ملكة التصورات لمعانى التشبيهات الغزلية وغيرها فصارت تنشد القصائد الطوال والأرجال والموشحات حتى جمعت ثلاثة دواوين باللغات الثلاث :

العربية « حلية الطراز » .. والتركية « شكوفة » .. وكتاب « نتائج الاحوال فى الأقوال والأفعال »(٤) .

« أساتذتها »

١ ـ فاطمة الأزهرية :

أديبة من أديبات القرن الماضى فى مصر . أخذت

---

(٣) ينظر اعلام النساء ١٦٢/٣ ، ١٦٣ .

(٤) ينظر تاريخ الأسرة التيمورية ٨٥ ، وبلاغة النساء ٨٦ .

(٤) ينظر تاريخ الأسرة التيمورية ٨٥ ، وبلاغة النساء ٨٦ ، والأعلام ٢٤٠/٣ ، واعلام النساء ١٦٢/٣ ، ١٦٣ .

عنهـا عنهـا عائشـة التيمورية النحـو والعـروض(٥) .

٢ ـ سـتيتة الطبـلاوية :

أديبـة فاضلة من أديبـات مصـر فى القـرن الأخـيرة . برعت فى النحـو ، والصرف والعـروض ، وأخذت عنهـا عائشـة تيمـور بعض العـلوم العربيـة(٦) .

٣ ـ خليـل رجـائى .

٤ ـ إبراهيـم مؤنـس .

وكمـا ذكـرت المراجـع أن عائشـة هـانم التيمورية لم تحظى بدراسـة مدرسية يعتـد بهـا وإن كانت ذكـرت الأسـاتذة الذين تتلمذت على أيديهـم .

مكـانة عائشـة التيمـورية

أولا ـ ثقافتهـا :

قضـت عائشـة حياتهـا معظمها فى خـدمة العـلم فبرزت فى مجـالات كثـيرة فهى شـاعرة نظمت أنواعـاً من الشـعر من غـزل وتوسـل ، واستغاثة ، ورجـاء ، ولـم تقـل الشـعر الغـزلى إلا فكاهـة(٧) .

وكـانت ناثـرة ، وتنشر مقـالات لهـا . فمنهـا ما نشرته فى جـريدة الأداب يـوم السبب الموافق ٩ جمادى الثانى سنة ١٣٠٦ هـ

---

(٥) بلاغة النسـاء . لفتحية محمـد ، أعـلام النسـاء ٣٢/٤ ـ مؤسسـة الرسـالة .

(٦) أعـلام النسـاء ١٧٥/٢ .

(٧) أعـلام النسـاء ١٦٨/٣ .

تحت عنـوان : « لا تصـلح العـائلات إلا بتربية البنـات »(٨) .

ثانيـا ـ مؤلفاتهـا :

١ ـ « حليـة الطـراز » وهـو ديوان شـعر باللغـة العربية وقـد طبـع ونشـر .

٢ ـ « شكوقة » وهـو ديـوان شـعر باللغـة التركيـة .

٣ ـ كتـاب « نتـائج الأحـوان » وقـد طبـع ونشـر .

٤ ـ مـرآة التـأمل فى الأمـور(٩) .

وفاتهـا :

أجمعت المراجـع التى تناولت عائشـة التيمورية على تاريـخ وفاتهـا ، فقـد توفت بالقاهـرة سـنة ١٩٠٢ م(١٠) .

« آراء العلمـاء فى عائشـة التيمـورية »

نـرى أنـه من المفيـد أن نـورد بعـض آراء العلمـاء فى عائشـة التيمورية مما يوضـح مكانتهـا بين شاعرات جيلها ، فقـد تتابـع المترجمون لهـا فى الثنـاء عليهـا بجميـل القـول ، وبأحسن الأوصـاف ، وبأوصاف العلمـاء الحميـدة تظهـر المكانة الرفيعـة فقـد تبوأت عائشـة التيمورية مكانة عظيمـة . ولقـد مثلت جانباً من الحيـاة المصرية فى القـرن التاسع عشر وهـو جانب الخـدر التـركى المصرى كمـا قـال عنهـا ذلك الأسـتاذ العقـاد .

---

(٨) اعـلام النسـاء ٣/١٧٠ .

(٩) اعـلام النسـاء ٣/١٦٣ ، الأعـلام ٣/٢٤٠ ، ايضاح المكنون ١/٤٢٠ .

(١٠) اعـلام النسـاء ٣/١٧٩ ، وبقيـة المراجع السابقة .

ثم قال :

« ولم يكن التعليم فى جذور العلية ولا الطبقات الأخرى من الندرة بحيث يتبادر إلى ظننا لأول وهلة . فقد وجدت عائشة لها معلمات وزميلات يقرأن الأدب ويعرفن الشعر والعروض ... الخ .. بل الواقع أننا لم نقرأ لمن نشأت بعد السيدة عائشة نظما يضارع نظمها ولا شاعرية تقارب شاعريتها ... »(١١) .

وقال عنها أحمد تيمور :

« أنها كانت تقية تصلى وتصوم وتقوم بكل الفرائض الدينية على أن لا تعمق فى شعرها الدينى ... »(١٢) .

فما سبق نجد أنها شاعرة عظيمة فاقت شاعرات جيلها ... ونبغت فكانت لها مكانة مرموقة ، كما أنها كانت تقية ورعة كما ذكر عنها ...

« فى رحاب النص »

١ ــ إن سال من **غرب**(١٣) العيون بحور
فالدهر **باغ**(١٤) والزمان غدور

---

(١١) أعلام النساء ١٧٦/٣ .
(١٢) أعلام النساء ١٧٩/٣ .
(١٣) غرب العيون : دمعها ، والغرب فى اللغة يطلق على ثلاثة وعشرين معنى . ينظر لسان العرب ــ ابن منظور ــ مادة غرب ، طبع دار المعارف .
(١٤) باغ : من بغى بغيا اعل اعلال قاض .

المعنى العام :

لا تستغرب الشاعرة ما سال من دمع عينيها فهذا حال الزمان الذى يبغى على الأحباء بتعذيبهم حيث لا يستقر على حال .

التحليل البلاغى :

« إن » والتعبير عنها يدل على الشك وذلك يرجع الى أن الشاعرة تساير الواقع فالدموع لا تنهال فى كل وقت ، أو كل يوم ولهذا عبرت بـ إن .

ونجد الامام الفاضل عبد القاهر الجرجانى قد أشار إلى « ان » و « إذا » فى أثناء تعريفه للنظم قال :

« إن فيما يتأرجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبإذا فيما علم أنه كائن »(١٥) .

ومعنى ذلك عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط فى الاستقبال أى الشك فى وقوعه فى المستقبل وتوهم وقوعه فيه .

سال من غرب العيون بحور : هنا استعارة تصريحية حيث شبهت دمعها بالبحور بجامع الغزارة فى كل ، وحذفت المشبه « الدمع » وصرحت بالمشبه به « بحور » .

وقيمتها البلاغية :

إذا كان البلاغيون قد قرروا أن الاستعارة تفيد الايجاز ، ففى هذا البيت لنا وقفة معهم إذ أن لغة المشاعر لا يصلح لها الايجاز وإلا ما قال سبحانه وتعالى :

---

(١٥) دلائل الاعجاز ص٦٢ بتصحيح الشيخ محمد عبده ، نشر السيد محمد رشيد رضا .

« وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى ، أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى »(١٦) .

فهنا بيان غزارة الدمع ، وشدة الحزن ، وتخيل الغريب الساحر صاحب السر العظيم العميق ألا وهو « البحر » كم غرق فيه أناس .

وفى كلمة « سال » إيماء بالسهولة اذ أن الدمع يمضى بلا تكلف فحق لها ذلك .

« بحور » سر التنكير هنا يكمن فى شيئين : الكثرة والابهام .

« فالدهر باغ » مشتق من بغى فيه استعارة مكنية حيث شبهت الشاعرة الدهر بانسان باغ حذفت المشبه به ورمزت له بشىء من لوازمه وهو البغى وهو تجاوز من الشاعرة وذلك لقول رسول الله ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر »(١٧) .

« والزمان غدور » فيه استعارة مكنية أيضاً .

ومن المحسنات البديعية فيه « التصريح » وفائدته البلاغية تنبيه الأذن إلى قافية القصيدة فتألف النفس وتستعد لسماع النص .

ونجد الشاعرة قد عبرت بالبغى مع الدهر ، والغدر مع الزمان لأن الأول يطلق على العاقل وغيره والثانى يطلق على العاقل وحده فجاء الغدر مناسباً للعقلاء والبغى مناسبا .

---

(١٦) طه : آية ١٧ ، ١٨ .

(١٧) أخرجه احمد بن حنبل ٢/٣٩٥ ، ٤٩١ .

٢ ــ فلــكل عيــن حــق مــدرار الدمــا
ولــكل قــــلب لوعـــة وشبـــــور

البيــان فى النــص :

لكل عين الحــق فى أن تبكى بكــاء شديداً ، وهــل ترى الشاعرة أن هــذا الدمــع المــدرار فى كل وقت • وتحت ظــلال أى سبب أم أن هنــاك أسباباً أخــرى • فــاذا لم تبــك العين فيهــا فهى صخر وجمــود •

ولقــد قــال البارودى فى ذلك :

لــكل دمــع جــرى فى مقــلة ســبب
وكيف يمــلك دمــع العيــن مكتئــب ؟

فنجــد الشــاعرة وقــد استعملت « الدمــا » مع « العيــن » ، و « اللوعــة » مع « القــلب » •

لــكل عين حــق مــدرار الدمــا : هنــا تقــديم والأصــل حــق مــدرار الدمــا لــكل عين فهنــا قدمت الخبــر على المبتــدأ فالمبتدأ إذا كان نكــرة والخبــر شــبه جمــلة فالتقديم جائز(١٨) •

حين يقــرأ القــارىء « فلكل عيــن » سيقول فى نفسـه مــاذا لــكل عيــن ؟

ثم تفاجأه الشــاعرة بقولها « حــق مــدرار الدمــا » فليستحيل الأمــل إلى حسرة والفــرحة الى دمــوع • فأفــاد هــذا الأسلوب العمــوم •

وانظــر إلى قولها « حــق » والذى أفــاده هنــا كأنهــا ترى

---

(١٨) ينظر شرح الأشمونى ١٥٧/١ ، طبع دار احيــاء الكتب العربية عيسى البــابى الحلبى .

أن الدمع حـق وأنـه يجب على كـل عين أن تبكى ، وإلا ما استحقت الحيـاة .

« مـدرار » أفـادت هـذه اللفظة ليس مجـرد الدمـاء ، ولكن مدرارها . و « مـدرار الدمـا » كنـاية عن غـزارة الدمـع .

فقـال بعض النقـاد المعاصرين :

أن هـذا التعبـير ردىء لأنـه أشـبه بمبالغات العـامة الذين يقولون يبـكى بـدل الدموع دمـا(١٩) .

ولسـت معهـم فى ذلك لأنـه ليس كـل ما يقوله العـامة يعد مرفوضـاً فى الفصحى .

« لـكل قلب لوعـة وثبـور » فيـه تقـديم مثـل سابقه ..

لنـا هنـا وقفـة إذ الملاحظ وجـود العطف مع القلب فى قولها « لوعـة وثبـور » ولم يأت فى العين « لـكل عين حـق مـدرار الدمـا » قيمـة العطف فى « ولـكل قـلب ... الـخ ... » .

لأن العين لا تملك إلا البـكاء ، ولكن القلب سـاحة مشـاعر ودنيـا وجـدان تتجمع فيـه الأشياء التى لا تراهـا العين فهـو مخـزن أحاسيس النـاس وأسرارهم ، والعين لا يبـدو عليهـا سوى الألـم والفـرح ..

يقـال : عينـاه تضحكان أو تبكيان . لكن كـل المشاعر سـكنها ووطنهـا الفـؤاد :

« عيـن » ، « قـلب » التنكير فيهـا للعمـوم والشمول .

« لوعـة » ، « وثبور » التنكير فيهـا للتهـويل .

---

(١٩) الموقف الأدبى سـنة ١٩٦٣ ص٢٤ .

فنجد فيما سبق التنكير غير التنكير • تشابهت الصور البلاغية والصور اللفظية واختلفت الدلالة المعنوية •

ثم قالت بعد ذلك :

٣ ــ ستر السنا(٢٠) وتحجبت شمس الضحى
وتغيبت بعد الشروق بدوره

البيان فى النص :

نجد الشاعرة وقد عبرت بثلاث جمل عن اختفاء النور من حياتها تماماً حيث قالت ستر الضوء وتحجبت شمس الضحا وتغيبت بعد الشروق بدور •

التحليل البلاغى :

« ستر السنا » « وتحجبت شمس الضحى » « وتغيبت بعد الشروق بدور » ••• هذه جمل ثلاث من واد واحد وهو اختفاء النور ولكن التعبير « ستر » « تحجبت » « تغيبت » إجادة من الشاعرة فى استعمال الترادف حيث عبرت بالستر مع السنا ثم فصلت فى الشمس والبدور مصدرى النور الطبيعى •

وفى « السنا » « شمس الضحى » « بدور » تحتمل الحقيقة وتحتمل المجاز ••

---

(٢٠) السنا ، سنت النار تسنو سناء : أى علا ضوءها ، والسنا ضوء النار والبرق . لسان العرب مادة سنا ، دار المعارف .

فالحقيقة هى : إسناد الفعل أو ما فى معناه الى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر(٢١) .

والمجاز العقلى هو :

إسناد الفعل أو معناه الى ملابس له غير ما هو له بتأويل(٢٢) ، وإجراء الجمل الثلاث على الحقيقة معناه انتشار الظلام فالشاعرة فى ظلام ربما أحسته فيكون ظلام نفسى غشى بصرها مثلما غشى الفؤاد منها وذلك لما أصيبت به .

وأما إجراؤه على المجاز فهو استعارة تصريحية حيث شبهت إبنتها بالسنا والضحى والبدور بجامع اللمعان والظهور والاشراق فى كل منهما .

وأرى أن حمل الأساليب فى هذا البيت على المجاز أبلغ وذلك لأن سياق النص يقتضى الحمل على المجاز الذى يدل على المعنى مصحوباً بالدليل وأنها إذا صورت ابنتها بالسنا والضحى ، والبدور أما وقد إختفت تلك المصادر المضيئة فانها يرثى لها فهى تستجذب القلوب منها والمشاعر ، وتأخذ بالألباب وتفتح أمامنا صورة لما عاشته .

فتعيشه معها بالاسترجاع والتأمل ، كيف عاشت وقد حرمت من مصادر النور ، فلا بهجة ولا أمل ولا سرور .

سر التعبير بالماضى فى « ستر » « تحجبت » « تغيبت »

---

(٢١) ينظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٢٢٦/١ ، طبع الحلبى .

(٢٢) ينظر حاشية الدسوقى ٢٣٢/١ ضمن شروح التلخيص ، طبع الحلبى .

للحسرة والألم على الماضى الذى كان • فى قولها « وتغيبت بعد الشروق بدور » إشارة الى جمال تلك الفتاة التى كانت بدوراً حتى مع شروق الشمس الذى تختفى فيه كل البدور وإشارة أخرى نلحظها فى التعبير وهو جمع « بدور » مع إفراد « السنا » « والشمس » •

وذلك إشارة أخرى نلحظها فى التعبير وهى جمع « بدور » مع إفراد « السنا » « والشمس » •

وذلك إشارة أيضاً الى فرط جمالها وشدة بهائها ، وجميل صفائها •• ألا ترى أن الحسناوات يشبهن بالقمر لا بالشمس ولا بالمصباح ، وما كان ذلك إلا لرقة القمر وهدوء نوره ، وصفاء لمعانه ، فابنتها فاقت كل حسناء وتجاوزت كل حد للجمال •

٤ ــ ومضى الذى أهوى وجرعنى الأسا
وغدت بقلبى جذوة(٢٣) وسعير

المعنى العام :

مضى من أحببت ولم يكن مضيه مضى الكرام وإنما جرعنى الأسى والألم والحزن وغدت بقلبى نار دائمة وسعير لا ينطفىء •

« الذى » المعروف فى اللغة أنه اسم موصول للمذكر • قال تعالى « **أو كالذى مر على قرية** »(٢٤) وهو رجل ،

---

(٢٣) الجذوة : مادة جذا وهى القطعة الغليظة من الخشب ليس فيها لهب ، وقيل فيها نار وقيل قطعة من الجمر ، ينظر لسان العرب مادة جذا ، دار المعارف •

(٢٤) البقرة : آية ٢ •

وقـال تعـالى « **وقال الذى ظن أنه ناج منهما** »(٢٥) وهـو رجل أيضـاً بدليل قـوله تعـالى قبـل ذلك « **ودخـل معـه السـجن فتيـان** »(٢٦) .

نجـد الشاعرة وقـد أطلقته على مؤنث فهى ترثى ابنتها لا ابنها فكان القيـاس أن تقـول « التى » لكن هـذا التحـول من مؤنث إلى مذكـر ليس غفـلة منهـا ولا جهـلا بقواعـد اللغـة وانمـا هـو ارتقـاء بالمعانى فقـد تحولت إبنتهـا الى معنى والمعنى مذكـر أمـا وقـد مضى هـذا المعنى فـلا يعنى التذكـير ولا التأنيث .

« جـرع » التضعيف فيهـا للتكثير « فعـل » والتعـدية ، وهـذه اللفظـة لا تطلق إلا فى الدواء ومعالجة المـرضى فهى تـوحى بالعـلة والألـم والمـرارة .

« جرعنى الأسى » استعارة مكنيـة ، شبهت الأسى بسائل مادى تتجـرعه وهـو فعـل معنوى الى محسوس لتصويره وإبـرازه فى صـورة مرئيـة تراهـا العين مثلمـا أحسها القـلب معا .

وإذا نظرنا الى « مضى الذى أهـوى » ، « جرعنى الأسى » أفـاد هـذا الأسلوب الترتيب فـلم يكن مضيه مضى الكرام ولا مضى الذى سيعود وانمـا مضى الذى إذا ذهب لا يعـود واذا ضـاع لا يوجـد فحـق لهـا أن تتجرع لضياعه الأسى والألـم .

« وغـدت بقلبى جـذوة وسـعير » أى صـارت ، جـذوة وسـعير من عطف العـام على الخـاص وفـائدة العطف هنـا التدرج والتفـاعل .

---

(٢٥) يوسـف : آيـة ٤٢ .
(٢٦) يوسـف : آيـة ٣٦ .

والملاحظ أن الشاعرة تلجأ إلى المعجم القرآنى فى ألفاظها « ثبور ، السنا ، شمس ، الضحى ، جذوة ، سعير ، نذير » ... الخ .

٥ ـ يا ليته لما نوى عهد النوى
وافى العيون من الظلام نذير

المعنى العام :

تتمنى هنا الشاعرة لو أن الرحيل قبل قدومه أعطاها إنذار حتى لا تحدث مفاجأة فيريعها ذلك ..

« لما نوى عهد النوى » جناس تام بين « نوى » و « النوى » ، وأيضاً فى هذا البيت الترصيع .

٦ ـ ناهيك ما فعلت بماء حشاشتى
نار لها بين الضلوع زفير

المعنى العام :

نجد الشاعرة وقد صورت فداحة ما لاقت من فراق وحيدتها وفلذة كبدها فعبرت بـ « ناهيك » للمخاطب بمعنى لا تتخيلوا ما فعلت بى فى فراقها وأتت « بما » هنا لتصل الكلام الذى بدأت .

التحليل البلاغى :

إن الناظر فى قولها « ماء حشاشتى » لو اكتفى بقوله هذا تشبيه بليغ لكان أدرك الصفة ، ولكن عليه أن يبحث فى

---

(٢٧) الحشاشة : روح القلب ورمق حياة النفس ، ينظر لسان العرب مادة حشش ، دار المعارف .

سـر التركيب الذى تركب منـه هـذا التشـبيه ليستبين لـه مافى المـاء من حيـاة أمـا وقـد مـاتت فـلذة كبدهـا فقـد مـاتت الحيـاة فيهـا تنبعث من تجربتهـا الذاتيـة التى فاضـت ببحـار الأسى من جوف صـدر أحـب فأخلص • وإن أحبت الدنيـا فخانت ، لأن حـب الأبنـاء لا يشوبه نفـاق ، أنظـر إلى اسـناد الفعـل للنـار ، لبيـان النتيجة المسلمة وهى الدمـاء فمـاذا تفعـل النـار غـير الدمـار ؟

وانظـر إلى اختيارها مـادة « فعـل » ولم تختـر أحرقت لأن الحـريق حـادث عـادى يكـاد يحـدث فى أى سـاعة ولكن الفعل متـاهة ودوار وخيـال فنقـول مـاذا فعلت .. ؟

أحرقت ، عذبت ، طفئت بعدئذ اشتعلت ، لم يكن ذلك الاسـناد لتلك المـادة إلا لغـرابة الفعـل وتخيـل ما يمـكن تخيـله ... فالقضية محـددة فى الذى أهملت (ح • ر • ق) والقضية مبهمـة واسـعة فيمـا اختـارت (ف • ع • ل • ت) .

« نـار لهـا بين الضلوع زفـير » استعارة أخـرى تأثـرت فيهـا بالقـرآن الكـريم « **سمعوا لهـا شهيقا وهى تفـور** »(٢٨) ولكن المفـارقة فى أنهـا اختارت الزفـير لأن الشهيق أخـذ والزفير طـرد ، فالنـار التى بين الضلوع تطـرد ما فيهـا فتحترق الضلوع ولننظـر إلى قولهـا « بيـن » الذى يوحى بأن النـار استقرت واطمأنت وسـكنت ولم تنقـل « فى » أو « من » فـان لـكل منهما دلالـة تخرج عن الحقيقة الى معنى آخـر يبحث عنـه اللغويون(٢٩).

ولا يمكن لدارس أن يمـر بقولها « حشاشتى » دون الوقوف

---

(٢٨) الملك : ٧ .

(٢٩) ينظـر فى ذلك ـ ابن هشـام ـ فى معـانى الحروف .

وقفة أخرى عليه ولعل القارىء يسأل ماذا فيها من آيات الوقوف ؟

وأرى أن إضافة الحشاشة الى ياء المتكلم فى سياق فيه النار والزفير ماهو إلا تعبير عن ضعف المرأة المسكينة الوحيدة التى تتساءل هل هناك من يتعاطف معها ويقتنع بتجربتها ويشاركها مأساتها وهل يكون لهذه المعانى أثراً لو أنها قالت : ناهيك ما فعلت بماء الحشاشة ، وكذلك اسناد الملكية للنار فى قولها « لها بين الضلوع زفير » فأنا أستشعر أن هناك مقارنة بين الشاعرة والنار فالشاعرة لها حشاشة والنار لها زفير ، وشتان ما بين حشاشة تتقطع وزفير يقطع ، ولعلك تلمس الفرق بين هذا التركيب وبين قولها لو قالت : « نار زفيرها بين الضلوع » أو « بين الضلوع زفيرها » لفاتت الملكية التى يناظرها قولها :

حشاشتى • والتنكير فى « نار » و « زفير » فالأول للكراهة ، والثانى للتهويل • وماذا ننتظر فى تهويل جاء من مكروه ، وبين الضلوع كناية عن القلب •

والأصل أن يقال « ناهيك بما فعلت » فيبدو أنها حذفت الباء فى هذا التركيب للضرورة •

نجد الشاعرة وقد شبهت الحشاشة بالماء ولا مشابهة بينهما على حد قول الشاعر :

« لا تسقنى ماء الملام »(٣٠)

---

(٣٠) البيت لأبى تمام يمدح محمد بن حسان الضبى وهو :

لا تسقنى ماء الملام فانننى
حيث قد استعذت ماء بكائى =

كمـا أنـه ليس للمـلام مـاء كـذا ليس للحشاشة مـاء .

٧ ــ لـو بث حـزنى فى الورى لم يلتفت
لمصـاب قيـس والمصـاب كثـير

البيـان فى النـص :

تصف الشـاعرة شـدة ما وصل إليـه حالهـا من حزن واكتئاب وألـم لفـراق فلذة كبدهـا ووحيدتها التى كانت تملأ عليها عالمهـا فتقـول : لـو أن حزنى قـد انتشر فى جميـع المخلوقات لهان مصاب قيس بجـوار حزنهـا الشـديد ؛ ولم يك شىء بجـانب ما تعانيه هى من آلام .

التحليـل البـلاغى :

« لـو بث حـزنى فى الـورى » شبهت الحـزن بشىء يبث على سـبيل الاستعارة المكنيـة .

وقولهـا : « لم يلتفت لمصـاب قيس » يحتمـل أنهـا تقصد مصـاب قيس مجنون بنى عـامر الذى أحـب ليـلى وخطبهـا ؛ ولمـا رفض والدهـا طـرح نفسـه فى الصحراء مجنـوناً ينـادى الظبـاء قـائلا :

بالله يا ظبيـات القـاع قـلن لنـا
ليلاى منكن أم ليـلى من البشـر(٣١)

= وهـو من معيب الاستعارة . ينظر ديوان أبو تمـام بشرح التبريزى ٢٢/١ شرح محمـد عبده عـزام ، الموازنة ــ للآمدى ــ ٢٦١/١ بتحقيق صـقر ، وسـر الفصاحة لابن سنان الخفـاجى ص١٢٢ .

(٣١) البيت من قصيدة من البسيط ، واختلف فى نسبته فنسب للمجنون ولذى الرمة ، وللعرجى وللحسين بن عبد الله العزى : ونسبة البخارزى =

فتزوجت بغيره ، فازداد ألماً وحسرة ثم مات حزنا على محبوبته وكمداً ، فهنا أرادت أن توضح لنا أنها رحلة مصائب متعددة لئلا يصورونه الناس على أنه مجرد فقد لوحيدتها فقط ، فكثير من الناس يفقدون أبنائهم ولا يعدو ذلك أن يكون أكثر من حدث واحد ويحتمل « مصاب قيس » أى امرؤ القيس الذى قتل والده ، فأخذ يتجول فى القبائل عمن يساعده فى الأخذ بثأر أبيه وكابد الأهوال وكانت نهايته أن مات مسموماً فجملة المصائب متعددة ، ويحتمل « قيس بن الخطيم » الذى جمع وصية القتل وبلاء الحب • ويحتمل تسعة عشر رجلا بهذا الاسم(٣٢) •

ولعل قولها « مصاب قيس » قصد منها لكى تذهب النفس كل مذهب ، ويتخيل كل إنسان قيساً الذى يجد فيه تعاطفاً مع مصابه •

٨ ــ طافت بشهر الصوم كاسات الردى
سحراً وأكواب الدموع تدور

= فى دمية القصر لرجل اسمه كامل الثقفى ، والبيت فى ديوان مجنون من قصيدة مطلعها :

يا سرحة الروح ابن الحى واكبدى
لهفى تذوب وبيت الله من حسر

ينظر ديوان مجنون ليلى جمع وتحقيق عبد الستار احمد مزاح ص١٦٨ ، مكتبة مصر للطباعة ، ومغنى اللبيب ٧٣/٨ بتصنيف عبد القادر ابن عمر البغدادى ، تحقيق عبد العزيز رباح واحمد يوسف دقاق ، طبع مطبعة زين بن ثابت ، ومعاهد التنصيص ١٦٧/٣ بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٣٧٥ هـ ١٩٤٧ م .

(٣٢) ينظر اخبار المراذقة .

المعنى العام :

لقد جاء الموت والهلاك لابنتى فى شهر رمضان ، وكان الوقت سحراً قبل أن يمضى الليل ، ودموع عينى تدور فى وجهى مثلما تدور الأكواب الممتلئة .

التحليل البلاغى :

« طافت بشهر الصوم كاسات الردى .. » استعارة مكنية حيث شبهت الكاسات بانسان يطوف ، ولننظر سوياً لقيمة هذه الاستعارة نجد :

١ ــ نقل صورة الموت المعنوية إلى العين التى تراها تطوف أمامها وتتحرك .

٢ ــ بيان سكرة العذاب الذى لاقته البنت وأمها حيث أن الموت يدور أمامها ولا يأتى مباشرة .

٣ ــ بيان أن الموت ظاهرة مقدسة « طافت » وما من شك فى أنه حق والشاعرة لا تفقد قيمتها الدينية إثر تجربة ذاتية مدت بها .

« كاسات الردى » تشبيه بليغ ، شبهت الردى والموت بالكاسات ، وهذا أيضاً من قوله تعالى **« كل نفس ذائقة الموت »(٣٣)** .

الملاحظ أن الصورة البيانية ممتزجة امتزاج الروح بالبدن مما يجعلها تناسب الموقف وسوف يأتى وقت على الطائفين يعودون إلى حيث الاستقرار ، وسوف يأتى وقت على الكاسات ، فتصبح رماداً وكأنها ما كانت شيئاً مذكوراً ، كذلك ستتحول ابنتها

---

(٣٣) آل عمران : ١٨٥ .

من آلام المرض إلى راحة الموت ، وسوف يتلاشى البدن ، ويتحلل وستصبح مجرد ذكرى ، وقد كانت كائنا حياً ينبض وينطق ويتحرك ويعيش ويحلم بكبر ، يضحك ويبكى .

ولننظر فى قولها « سحراً » له أكثر من دلالة :

١ ــ أنه مرتبطاً بالصالحين وابنتها من الأبرار .

قال تعالى : « **وبالأسحار هم يستغفرون** »(٣٤) .

٢ ــ أنها كانت ترجو لها النجاة ..

قال تعالى : « **إلا لوط نجيناهم بسحر** »(٣٥) .

٣ ــ إنه تعبير عن رحلة المعاناه والسهر الى جوار المريض الذى يئن والساهرون حوله لا يشعرون بالتعب إلا فى ذلك الوقت لأنه وقت الخلود الى الراحة ، وكونها تلحظ طوفان الردى فهى ليست متعبة وإنما فى منتهى اليقظة .

« وأكواب الدموع تدور » كناية عن غزارة الدمع ، وتوجد مشاكلة فى المعنى بين « تدور » و « طافت » .

فى البيت موازنة بين صنع القدر ، أو ما يملكه وصنع آلام العاجزة التى لا حول لها ولا قوة ، القدر تطوف خطاه بهلاك إبنتها فى نظام وتؤده وثبات ويقين أليس « **لكل أجل كتاب** »(٣٦) ، أما هى فلا تملك حياله إلا دموعاً تزرفها وحسرة وألماً .

---

(٣٤) الذاريات : ١٨ .
(٣٥) القمر : ٣٤ .
(٣٦) الرعد : ٣٨ .

الماضى فى « طافت » إيحاء بالثبات ، المضارع « تدور » إيحاء بالتجدد والحدوث لأن الدموع رهينة المواقف .

توجد مجانسة بين الألفاظ فكلها متناسقة متناسبة تعد معزوفة موسيقية من وادى الحزن .

« طافت ، تدور ، كاسات ، أكواب ، شهر الصوم ، سحراً »

فطوفان الكؤوس بالموت والهلاك يفضى إلى ملىء الأكواب بالدموع إذ لا يملك المودعون للأحبة الا هذا السيل من الدمع الجارف الذى يحمل معه كل الذكريات ويعبر بذاته عن مضمون الآهات ، ومعنى التوجعات ، فالذكريات تقود إلى الذكريات كلما قال المعزون كفى قالت الدموع للمحزون هات ..

فى البيت ضرورة شعرية « كاسات » والقياس « كئوس » .

٩ ــ فتناولت منها ابنتى فتغيرت
وجنات خد شأنها التغيير

المعنى العام :

بمجرد أن طافت كاسات الردى فى هذا الوقت من الليل تناولت ابنتها منها فسرعان ما تغير لون وجهها فتحول إلى شحوب وأصفرار ، ذوى بعد نضرة ، وجفت بعد ليونة ، ويبس بعد ما كانت مياه الحياة تجرى منه ، فعلى وجناتها إمارات الموت التى تشين وجوه الحسان .

التحليل البلاغى :

« فتناولت منها ابنتى » استعارة مكنية حيث شبهت الموت كأساً شربت منه ابنتها ، تناولت من تلك الكئوس فأصبحت كالذى لمس سلك الكهرباء فيقول أبوه أو تقول أمه : كان

السلك عارياً فلمسه ، فمثل هذا الأسلوب يوحى بالتدم على فعل الابن ، فكأنها هنا تريد أن تقول : يا ليتك يا بنيتى لم تتناولى كأساً منها .

« فتغيرت وجنات خد » أسلوب خبرى الغرض منه :

١ ــ التقرير . ٢ ــ الحزن .

٣ ــ لفت النظر إلى أن جمال البنت يكمن فى خديها .

« شأنها التغيير » جملة ، وجملة الصفة هنا أدت دوراً فى إبراز المعنى لا تستطيع جملة التصوير أن تؤديه ، وذلك أنه كان بالامكان أن تأتى بصفة مفردة فلو أنها قالت مع المحافظة على وزن البيت .

وجنات خد شائن ، أو وجنات خد شاحب ، لأدى ذلك إلى عبث بالمعانى يترفع عنه أهل الذوق واللغة ، لأنها بهذه الجملة قد أسنت الشين إلى التقييد ، فليس الخد شيناً أو شائناً وإنما أصابه هذا من التغيير فالذنب ليس ذنب الخد النضر ، وإنما ذنب المصيبة التى جاءت عليه فحولته الى حال .

تتابعت الفاء فى هذا البيت فتناولت ، فتغيرت . أفادت بذلك الترتيب والسرعة لبيان أثر الموت على الصبية ، أنه بدأ سريعاً بمجرد أن تناولت .

« فتناولت منها ابنتى » حذف المفعول هنا وبلاغة حذفه بيان أن أى جزء تناولته البنت صغيراً أو كبيراً كفيل بأن يغير خدها من جمال إلى قبح ، وتلك طبيعة الموت ..

وعودة أخرى مع البيت إلى طبيعة المرأة . فلقد حدث ذلك فى قولها فى البيت السادس « حشاشتى » ثم عادت هنا

لتقـول « ابنتى » وهنـا علينـا أن نلحـظ الفـرق فى الاسـناد إلى يـاء المتكلم فى اللفظتين ..

ففى الأول : إشـعار بالضعف أمـام نيران القـدر .

وفى الثـانى : إشـعار بالموت . فان موت البنت موت لأمهـا .

كمـا أن فى البيت إيقـاع يحس من نبض الحـروف وذلك أن عـلامة التأنيث قـد كثـرت هنـا فى هـذا البيت إشـارة الى أن التـاء فى رثـاء ، لقـد ضاعت صاحبة العـلامة ، فظلت العـلامة حـائرة ، تبغى ضالتها وصاحبتها أين هى ؟ . ومـاتت فـلا خـير فى حيـاة بعدهـا .

ولـو نظـرت إلى قولهـا « تناولت » دون مترادفاتها ، شربت ، أخـذت ، أعطيت ، سقيت ، نجـد أن هـذه اللفظـة تأثيرها دون سواها وذلك لبيـان أن ابنتهـا نعتت بالأدب والذوق الرفيـع حتى فى شـرب المـوت .

« منهـا » تجـانس وتناسـب « تنـاولت » .

ألا تلحظ الفـرق بين « تناولت منهـا » ولـو أنهـا قـالت « تنـاولتهـا » أى كلهـا .

ويـدل أسلوب الشاعرة على أن أقـل جـزء كفيـل بأن يميتها فى قولهـا « تناولت منهـا » ولتجانس الذوق الرفيـع .

كمـا أن فى البيت تقـديم فى قولهـا « تناولت منهـا ابنتى » وهـو من تقـديم بعض المتعلقات على بعض ، وأفـاد هنـا العناية بالمقـدم وهـو « كـأس الـردى » لأنـه هـو أصـل البـلوى والبيت بنى عليـه ، والفـاء واضحة الدلالة على ذلك ، « فتغـيرت وجنـات خـد » .

١١ــ لبست ثيــاب السقم فى صغر وقــد
ذاقــت شــراب المــوت وهــو مــرير

المعــنى العــــام :

من عــادة الأموات أن يتــم تعريتهم من الثيــاب وتلك حقيقة . ومن ثم يفاجــأ القــارىء بقولهــا « لبســت » على خلاف ما تــراه الأعين فى مثــل تلك الحــالة لكنهــا تذيل ذلك اللبس حين تطالعنا بأنها لم تلبس ثيــاب فــرح أو ثيــاب الأحيــاء ، وإنمــا لبست ثيــاب المــرض وليس بغريب على المــوتى قبــل أن يودعوا الحياة ويرتدوا الكفن ثيــاب بأن يلبسوا ثيــاب المــرض . ومن هنــا تتضح القيمــة الفنيــة للتشبيه البليــغ فى قولها « ثيــاب الســقم » حيث شبهت الســقم بثيــاب فــلم تترك فرصــة لقــارىء أن يســأل عن مرضها وفى أى أجــزاء الجســم كــان أهــو فى الرأس ، أم البطن أم غيرهــا من أجــزاء الجســم . فلقــد صــار المــرض ثوبــاً غطى جميــع البــدن الأمــر الذى يجعلنــا نزرف الدمــع معهــا حين نقف على شــبه الجمــلة « فى صــغر » ومــوقعه من الاعراب حــال وليســت حــالا لغــوية حــافة تبين مجــرد هيئة لصاحبها وإنمــا هى حــال معنــوية محضــة أشبهت فيمــا يسميه اللغويون الحــال اللازمة لأن من لبس ثيــاب المــرض فى كبــر لا يثــير فى النفس من العواطف ما يثــيره . شــابة كانت تتطلع إلى الحيــاة وتحــلم أن تعيش وتكبر وتزرع للدنيــا من أمومتها دفئــاً وحنانا وصــغاراً أبــراراً تراهــم حولهــا . فتحصــد ثمــار ما زرعته . وتودع الدنيــا وقــد أدت فى الحيــاة رســالة عندئذ ســتجد من يشيعها ويستكمل فى الحياة طريقها وحين يناديهــا وينسبها سيقول أمــاه لا إبنتــاه ، فــرق كبــير بين أن يودعنــا الآبــاء وبين أن يودعنــا الأبنــاء . وإن كان فى كــلا الوادعين أسى ومــرارة فــان وداع الأبنــاء للآبــاء كــرامة ..

وقف رجل على قبر أمه يبكى فقال له أحد المعزين الحمد لله الذى أكرمها بدموعك عليها ولم يذلها بدموعها عليك .

ثم تتدرج بنا الشاعرة من حال اللبس إلى حال الطعام وفضلت الشراب أى شراب ، شراب الموت تواكب به التشبيه السالف حيث تشبه الموت بشراب ، وتأتى جملة لحال مناظرة للحال التى قبلها « وهو مرير » وللواو سر يعنى فوق مجرد كونها واو الحال إذ أن النفس تتهيأ فى ظنها لسماع العطف كأن تقول الشاعرة . ذاقت شراب الموت والغناء والوداع وغيرهما .

ولو فعلت ما زادت فى الأمر شيئاً فليس بعد الموت إضافة ، وليس بعد الوداع لقاء ، وانما تأتى بالحال لتعود بنا من جديد الى الموت مع إبنتها منزلا مريراً وهنا لا ينكر أحد أن شراب الموت مرير . وأن انسلاخ الروح من الجسد ليس أمراً هيناً فسيترائى للناظر من أول مرة أن الجملة الحالية لم تفد جديداً وإنما هى بمثابة التقرير وتلك نظرة سطحية سقيمة فما هكذا يكون فهم الشعر ولا تحليل الكلام ، وإنما أفادت الجملة الحالية معنى شريفاً وهو الشفقة والرحمة ماذا لقولها قبلها وفى صغر ، فالكلام ينبغى أن يرتبط ببعضه إرتباط الخلايا فى الجسد فليس كونه مريراً يجعلنا نترحم أو نشفق إذا كان من شرب طاعناً فى السن ذاق حلاوة الحياة وعب منها وغب ، ولكن من ذاق المرارة صغير من هم فى مثل سنه أكثر مما يتذوقون من الحياة طيبها .

ومن هنا يأتى تفوق الشاعرة الذى إن فسرناه على أنه عاطفة أمومة أخطأنا الفهم أيضاً فليست كل أم قادرة على التعبير عن عاطفتها نحو أبنائها وإنما يأتى تفوقها من خلال أنها

ملكت ناصية الكلام واجادة دراسة البيان فتفوقت وقبل أن نودع البيت نرى ألوان التوكيد فيه « لبست » « قد » « ذاقت » .

مؤكدات لفظية لدلالة الماضى على التوكيد واختصاص قد به لوجود الماضى بعدها .

١٢ـ جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا

إن الطبيب بطبه مغرور

التحليل البلاغى :

الناظر فى البيت يجد أن الأساليب فيه حقيقية ليس فيها رائحة المجاز وفى ذلك بلاغة فان البلاغة ليس معناها أن ننقل الحقيقة إلى المجاز فقد يكون الأسلوب الحقيقى أبلغ من المجازى والدارس للبلاغة التطبيقية فى كتاب الله سبحانه وتعالى .. نجد أكثر الأساليب المتصلة بالعقيدة « خبرية » ، كقوله تعالى :

« والهكم إله واحد »(٣٧) ، « محمد رسول الله »(٣٨)

وهى بليغة والسر فى ذلك أن عاطفة الأم نحو طبيب جاء مبشراً بالشفاء فكانت بشارته نذيراً وكلاده وهماً وسرابا ولم يستطع أن يصف الداء أو الدواء وحصد الموت إبنتها . لم يكن سبيل أمامها غير أن تعبر بأسلوب حقيقى أشبه ما يكون برسالة أو برقية لا عاطفة فيها ولا وجدان .

ولعل هذه الجملة التقديرية المؤكدة (بإن) ما يجعلنا تستقرىء مدى كراهيتها للطبيب ولها صلة بالشطر الأول وهى

---

(٣٧) الأنبياء : ١٠٨ .

(٣٨) الفتح : ٢٩ .

التعليـل ، لكنـه تعليـل يفاجئك أيهـا القـارىء بغرابة حيث أن إتهامهـا لـه بالغـرور ليس لأنـه بشـر بالشفاء • فـكل طبيب يجب أن يبشـر بالشفاء كمـا أن كـل عـائد للمرضى يجب أن يبشر بالشفاء فهـل يعـد التبشير غـروراً ؟

ووجـه الغـرابة حيث ننظـر فى البيت قبـله فى قولها « ذاقت شـراب المـوت » حيث أنـه لم يدرك حقيقة أمـر مريضته وأنهـا مشـارفة للمـوت أو ينصـح بمن هـو أمهـر منـه أو بعجـزه وانسحابه من الميدان وفى ذلك كـرامة لـه والشاعرة هنـا كأنهـا تتعرض لظاهـرة إجتماعية من أخطـر ما يواجـه المجتمـع فى عصرنا الحـاضر حيث يزعـم الصـغار من الأطبـاء بأنهـم مهـرة وصلوا إلى نهـاية العـلم فتكون النتيجة خطـأ التشخيص وخطـأ العـلاج ويحصـد المـوت ضحاياه بدليـل قولهـا فى البيت بعـده •

١٣ــ وصف التجرع وهو يزعم(٣٩) أنـه
بالبـرء(٤٠) فى كـل السقام بشـير

وكـذا قـول إبنتهـا :

عجـل يبـرئى حيـث أنـت خبـير

ومن ذلك نرسـم شخصية ذلك الطبيب من خـلال هـذه الأبيات فهـو مغـرور قـد يقـول مالا يعـلم ويدعى ما ليس فيـه لأن قـول الابنـة « عجـل ببـرئى حيث أنت خبـير » نجـد حيث هنـا بمعنى لأنك قلت ، ويبـدو أنـه كـان مستجداً حيث قالت لـه وارحـم شبابى ، وارأف بعين ، فعزمت بعـد أن رأت ضـعفه أن

---

(٣٩) يزعـم : مطية الكـذب .
(٤٠) بالبـرء : الشـفاء .

تسلم أمرها لله سبحانه • وأن تستقبل قدرها حسبما قضاه الله لها • فقد رأت ضعفه وعجزه ورفضت أن يأتيها غيره ، فقالت « لو جاء عراف اليمامة » ••• الخ •

فقد أجادت الشاعرة فى رسم شخصية ذلك الطبيب الذى بدى عاجزاً لم يستطع طبه أن يصف الدواء لها فأسلمت أمرها لله تاركة أمها وراءها تحصد الدمع وتجتر الذكريات الجميلة التى عاشتها وابنتها •

فى هذا البيت تقديم والأصل أن تقول وصف التجرع وهو يزعم أنه بشير شفاء •

١٤ــ فتنفست للحزن قائلة لـــه
عجل ببرئى حيث أنت خبير

المعنى العام :

اللام بمعنى الباء فى قولها « للحزن » أى فتنفست بالحزن قائلة له وهى حزينة • وهنا أغنت اللفظة عن الصورة والتركيب حيث أن قولها « تنفست للحزن » يؤدى معنى تنفست وهى حزينة قائلة له إلا أن اللام تفيد الالصاق فكأن الحزن ملتصق بها فى وقت لا يلتصق بالانسان أى شىء أى وقت التنفس فكأن الحزن امتزج بها حتى فى تنفسها •

واسم الفاعل فى قائل يدل على الاستمرار فكأنها قضيتها : « وعجل » أمر الغرض منه الاستعطاف والرجاء وإظهار الضعف وسوء الحال ، وفى قولها « ببرئى » حذف والتقرير عجل بأسباب برئى فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه لأهميته لانه النتيجة والخلاصة ومنتهى الأمل • والتعبير بحيث التى تضاف إليها الجمل مظهره ثقتها بالطبيب من أجل أمها مع

علمها يقيناً بأنه عاجز وأن الشفاء يكون مستحيلا • وهذا ما يفيده التعبير بقولها : « حيث » مثلما نقول جلسنا حيث الهواء عليل ولو أنها قالت عجل ببرئى لأنك خبير لاختلف المعنى •

١٥ــ وارحم شبابى إن والدتى غدت
ثكلى يشير لها الجوى وتشير

المعنى العام :

تستمر الشاعرة فى مخاطبتها للطبيب • راجية منه أن يرحم شبابها لا من أجل الشباب ولا من أجلها ولكن من أجل تلك الأم التى أصبحت فاقدة ابنتها تتأرجح حالتها بين الأمل الضعيف الذى لا يكاد يذكر وبين الجوى الذى يشير إليها فكأن الامل والجوى تنازعا هذه الأم ففشل الأمل واستحكم الجوى •

التحليل البلاغى :

يلاحظ اشتراك الأسلوب الانشائى والخبرى فى تأدية المعنى ويتمثل الأمر فى قولها « ارحم شبابى » أسلوب أمر والثانى فى قولها « إن والدتى غدت » فهذا خبر مع أن الأسلوبين يتحدان فى الهدف وهو التأكيد على التعجيل بالشفاء وهو ما تثيره كلمة الشباب الذى لا يبكى إلا عليه • كقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب(٤١)

---

(٤١) أنظر الصفحة القادمة .

« فارحم شبابى » تلك اللفظة أثارت قضية • من عادة الشباب أنهم يعترون بشبابهم لأنفسهم • وإذا بكوا عليه فالغرض من بكائهم تحسرهم على أنفسهم فيالها من إبنة تبكى الشباب من أجل أمها التى هى السبب فى هذا الشباب(٤٢) •

ومن ثم تجد أيها القارىء إختيارها لكلمة « والدتى » ولم تقل « أمى » وتسترجع بنا الشاعرة عصر الأوائل حين تأتى من أعماق الماضى بلفظة « ثكلى » ذات التاريخ القديم فهى لتى فقدت زوجها فأصبحت الابنة هى العماد الذى بفقده أصبحت ثكلى ونرى تحرك الألم وانتقاله من مجرد أوهام فى الصدور معنوية لا تراها عين ولا يحسها بدن إلى صورة حسية مجسدة من لحم ودم تشير الى الأم وتشير اليها الأم •

ولابد من تفسير الاشارة عند كليهما ، فالجوى يشير للهلاك ، والعذاب والموت والفراغ ، والأم تشير اليه بأن ترفق وارحم وابتعد ولكن هيهات ، ومن ثم ندرك سر الجناس فى بشير وتشير •

فان معنى الأول على خلاف الثانى ••

١٦ــ وارأف بعين حرمت طيب الكرى
تشكر السهاد فى الجفون فتور

---

(٤٢) الشاعر هنا يتمنى عودة الشباب يوما واحدا وهى امنية محبوبة الى نفسه وهى غير ممكنة الحصول لاستحالة عودة الشباب مرة اخرى ••

والبيت يروى الا ليت الشباب ... وفى رواية أخرى .. فيا ليت الشباب . واختلف فى نسبه فقيل انه لأبى المتاهية وقيل لسلم ابن غزيه . ينظر الكامل للمبرد والبيان للجاحظ والايضاح مع البقية ٣٣/٢ .

المعنى العام :

تطلب الابنة البارة منه الرأفة بعين أمها التى حرمت طعم النوم فأصبحت تشكو آلام السهر والأرق وقد فترت جفونها فلم تعد سليمة ولم تعد ترى الحياة بعين جميلة هى أجمل مافى المرأة حين يبدو فيها الفرح والتفاؤل .

التحليل البلاغى :

أثرت هنا الرأفة دون الرحمة لأن الرأفة إزالة الضرر مع العفو وجلب النفع ، فهى تشمل الرحمة وزيادة وهذا أمر يقتضيه المقام وهو صلب البلاغة التى هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وتأمل الفكرة فى قولها : « عين » بما تشتمل عليه من تعظيم وهل بعد عين الأم عين تعظم تلك التى ترى سعادتها فى سعادة أبنائها وشقاءها بشقائهم .

مثل ذلك السحر الذى نجده فى البناء للمجهول فى قولها « حرمت » ولو أنه بنته للمعلوم لقالت حرمها مرضى طيب الكرى . لكنها حذفت الفاعل لكراهيتها له وهو المرض .

ونجد تقديم طيب على الكرى من إضافة الصفة الى الموصوف مثل : حسن الوجه ، كريم الطبع ، سخى اليد ، بليغ القول .

وكأنها تقول لأمها « آسفة إن كنت السبب فى حرمانك من طيب النوم ، وكم كنت أتمنى أن تنامى قريرة العين هادئة البال منشرحة الفؤاد ولكن أقدارك أن تصبحى شاكية السهاد يسكن الفتور جفنيك وقد كانت مملوئتين بالهدوء والاشراق والجمال » .

والملاحظ فى الأفعال التى جاءت بعد هذه الجملة التى بنى فعلها للمجهول وأقول أفعال مع أن الوارد فى البيت فعل واحد وهو « يشكو » ولعل ذلك نهج جديد فى تحرير الأساليب العربية من قيود الصنعة والتعسف فان الفعل الواحد هنا أدى وظيفة أفعال متعددة ألا ترى أن من يشكو • إنما هو يتحدث ويصف ويعلل ويبرز حاجته ويلتمس العلاج ؛ ويرجو الحل لكنها تمثلت فى فعل واحد الذى يدل على أنه كناية من نوع جديد فهو كناية عن إظهار الألم وكراهيته وطلب الشفاء منه ، ثم تأتى الصورة التى نراها متمثلة فى حال شكواها فقد كانت تشكو وفى جفونها فتور يبعث فى النفس الرثاء لحالها ، والاشفاق عليها •

١٧ــ لما رأت يأس الطبيب وعجزه
قالت ودمع المقلتين غزير

المعنى العام :

بعد كل ما لاقته رأت يأس الطبيب وعجزه فلم يعد الكلام إليه ذا جدوى أو معنى فلم تفد الخبرة ولم يستجب للنداء ولم يرحم الثكلى ولم يرأف لعينيها ولم يستجب لشكوى سهادها ولا لفتور جفنيها فانصرفت عنه وتوجهت بالحديث إلى أمها وفى عينيها دمع غزير كالمطر الهادر •

التحليل البلاغى :

لما تؤدى وظيفة وهى ظرف بمعنى حين صورة صوتية يحسها الانسان • كما أنها تفيد أيضاً منتهى تعب الابنة حين تحدثت حديثا طويلا إلى هذا الطبيب ووجدته عاجزاً يائساً وتأمل التعبير تجد فيه استعارة بالكناية حيث شبهت اليأس

والعجز بشيء مادى يرى وحذفت المشبه به وجاءت بصفة من صفاته وهو رأت على سبيل الاستعارة بالكناية وإن قال النحاة أنها رأى الغالبية يكون فى التعبير حذف لما رأت يأس وعجزه ظاهراً وقد منت هنا اليأس على العجز مع أن الأمر الطبيعى أن يكون اليأس مسبباً عن العجز ففى تقديمه نقطة تجدر الاشارة إليها وهى أنها تستعجل النهايات مثلما ترى نهاية حياتها فى عنفوان شبابها وتأتى الجملة الحالية وهى قولها : « ودمع المقلتين غزير » مصاحبة للقول ليتخيل القارىء على أية حالة كانت تخاطب أمها • فتاة ملأت الدموع عينيها وحقها أن يملأها الابتسام لكنها تستشعر الألم الذى سوف تعانيها أمها فى الغد القريب •

١٨ــ أماه قد كل الطبيب وفاتنى
فما أؤمل فى الحياة نصير

المعنى العام :

يأتى دور النداء هنا وهو قولها أماه لا تنظرى الى هذا العاجز اليائس ولكن انظرى إلى النتيجة المنتظرة فقد فات الأوان ولم يعد هناك مصير يدفع بى إلى أن أحيى الأمل فى الحياة •

التحليل البلاغى :

يأتى الأسلوب مؤكداً بقد فى قولها « قد كل الطبيب » والوسيلة قد وبعدها فعل ماض وهو « كل » الذى يفيد منتهى التعب وهى لفظة من المعجم النبوى •

قال ﷺ(٤٣) « من بات كالا من عمله بات مغفوراً له » والترتيب فى البيت ترتيب منطقى سبق منه الفكر والوجدان بغرض تثبيت الأم فما دام الطبيب قد كل فلا أمل أذن من الشفاء وتأتى مادة الأمل منفية فى قولها « فما أمل » لافادة أن اليأس أصبح هو الطريق وتأمل التنكير فى قولها : « نصير » لتجد فيه شيئين :

أولهما : إفادة العموم والشمول .

ثانيهما : تجاوزه الحد الذى لا يبغى لمريض أو يائس يقنط من رحمة الله فقد يعجز الطبيب وعند الله الشفاء ، وقد يشفى المريض ويموت الطبيب ، وقد نلتمس العذر للشاعرة لفرط عاطفة الأمومة التى سيطرت عليها فهو تجاوز يقبل من العامة ولا يقبل من الخاصة .

١٩ــ لو جاء عراف اليمامة يبتغى برئى
لرد الطرف وهو حسير

المعنى العام :

ثم تؤكد أنه لا أمل فى الشفاء . بأن عراف اليمامة(٤٤) لو جاء بنفسه ليعالجها لأبدى عجزه كما أبدى الأول ولرد الطرف وهو حسير وهو كناية عن الفشل والألم وهى بذلك تلتمس كل وسيلة فى إقناع الأم بأن ترضى بالنهاية المحتومة وأن تسلم للموت .

---

(٤٣) اخرجه احمد بن حنبل ٦٩/٢ .
(٤٤) اسمه ابن مكحول .

التحليـل البـلاغى :

والتعبـير « لـو » هنـا مفـاده التعبـير بان لكن إيثـار التعبـير بلـو لمـا توحيه « لـو » من معنى الاستحالة .

ولا يمكن تجـاهل ما يوحى بـه الفعـل « يبتغى » من تحـديد الهـدف من مجيىء عراف اليمـامة ، وفى « بـرئى » حذفت المضاف وأقـامت المضـاف إليـه مقـامه للتعجيل بالنهايات وأملهـا الأخـير فى الشـفاء ثم كانت النتيجـة وفـق نتيجـة الأمـل ألا وهـو الفشـل .

وكـأن الشـاعرة تعتذر عمـا بـدر منهـا فى البيت الثـامن عشـر باستعارتها أسلوباً قرآنيـا : « الطـرف وهـو حسـير » كنـاية عن الفشـل والعجـز ..

٢٠ــ يا روع روحى حلهـا نـزع الضـنا
عمـا قليـل ورقهـا سـتطير

المعـنى العـام :

تخـاطب الأم مصابها الذى كـان روعـاً جـللا حيث تجسـد الألـم فى روحها فحـل محلهـا . وذلك بسبب أن نذيـر الفـراق قـريب وسـوف تطـير حمـامة السلام والأنس والمحبـة من عشها إلى مكـان بعيـد ، وتكشف عن معنى الألـم فى قولها : « يا روع روحى » ممـا يكشف عليـه الحـزن من معانيـه وهـو مفقود لـو قالت « يا حسرتى ، أو يا ألمـى » فقـد أصبحت الروح فى روع ومن شأنها لا ترتاع فـان الروع للجسـد ولكن الشـاعرة خلفتـه على روحهـا حيث لم تعـد الأجسـاد ذات قيمـة وحـق لهـا أن تستحق الأجسـاد فقـد مرضت كـل الأجسـاد بمـرض إبنتهـا أما وقـد

صار الأمر معلق بالروح التى هى عما قليل ستفارق الجسد حق لها أن تصور لنا حال روحها هى ..

التحليل البلاغى :

فى قولها : « حلها نزع الضنا » بيان لمكان الروح المرتاع حيث لم تعد روحاً وإنما أصبحت مكانا للضنى والألم ، ولذا قالت « عما قليل ستطير » ، والتعبير بقولها « عما قليل » دلالة ثقافتها الدينية فهو أسلوب قرآنى . قال تعالى : « **عما قليل ليصبحن نادمين** »(٤٥) ..

والتعبير بهذا الأسلوب « عما قليل » جاء مؤكداً ووسيلة التوكيد هنا زيادة « ما » هذا المعنى تلحظه أيها القارىء العزيز على لسان الأم لكنك لا تجد مستحيلا حين تحمله على لسان الابنة وهذا يحمل فى طياته قضية أدبية وبلاغية قديمة . فاذا كان النقاد قد قالوا ؛ إن قول الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فأنت الطاعم الكاسى(٤٦)

يحتمل المدح والذم فان هذا البيت يجوز حمله على لسان الأم وسبق بيانه ، أما إذا حملناه على لسان الابنة فيكون معناه : إننى لا أتألم من فزع أصاب روحى فلقد

---

(٤٥) المؤمنون : ٤٠ .

(٤٦) هذا البيت للخطيئة من قصيدة يذم بها الزبرقان بن بدر ويمدح بغيض بن شماسى ، وهى فى ديوانه ص٥٤ بشرح أبى الحسن السكرى ، مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .

والصناعتين ٤٦٣ ، والدلائل ص٢٩٥ ، والمطول فى ٤٦٣ ومعاهد التنصيص ٦/٤ ، وشرح بن يعقوب ٤٨٤/٤ شروح .

سكنها العذاب وعن قريب ستخرج الروح منى وتطير إلى دنيا الخلود لكننا لا يمكن أن نتجاهل قواعد البلاغة الأكاديمية فى ضوء تحليل النصوص المعاصرة لذا يجب علينا أن نتبين موقف هذا البيت من تلك القواعد إذا كانت على لسان الأم ، واذا كانت على لسان الابنة • فاذا كان على لسان الأم دخل فى إطار الاعتراض فهو بمثابة الجملة الاعتراضية التى اعترضت موصولية فى الكلام كالمبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل ، أما إذا حمل على قول الابنة فلا اعتراض إذن ، وهنا يجب البحث أيهما أبلغ •• الحمل على الاعتراض أو الحمل على غيره ؟ والرأى أن حمله على الاعتراض أولى • وحمله على كلام الأم إنما هو تدخل منها لراحة ابنتها ومشاركتها فى أحاسيس آلامها •

٢١ـ أماه قد عز اللقاء وفى غد
سترين نعشى كالعروس يسير

المعنى العام :

تستأنف الابنة قولها معلنة لأمها أفظع خبر وأسوءه حين تقول لها « لقد عز اللقاء يا أمى وغداً لناظره قريب وسترين نعشى يحمل جثمانى الى المثوى الأخير وما يعز عليك ويصعب • أنه ليس نعشاً كسائر النعوش وإنما هو عروس تسير لا إلى عرشها ومملكتها وبيتها وعزها ومنتهى سعادتها ولكن يسير الى التراب والدود » ، فما أصعب قولها : أماه قد عز اللقاء •

التحليل البلاغى :

النداء فى قولها « أماه » يشعر بالألم بما فيه من مد وإطلاق واشباع •

وفى قولها « قد عز اللقاء » أسلوب توكيد بـ « قد » لكنه يشبه القسم فليس بعد الموت إلا الوداع والفراق الذى قرب فى قولها « سترين » حيث لم تقل سوف ترين • أما التشبيه فى قولها « نعشى كالعروس » فهو قضية وحدة لما يحمله من غرابة إذ أن من شأن المشبه به أنه أوضح فى صفاته من الشبه لذا بين المشبه من حيث وجود الصفة أو إحتمال وجودها أو قدر هذه الصفة أو مدحها أو ذمها •

فنجد أن تشبيه النعش بالعروس فيه بيان لجوهر هذا الوجود الذى سبق أبو العلاء إليه حين شبه صوت النعى بصوت البشير وصرخة الميلاد بصرخة الموت ؛ وحين ذكر الشريف الرضى أن الحياة تولد فى فم الموت •

٢٢ــ وسينتهى المسعى إلى اللحد الذى
هو منزلى وله الجموع تصير

وتستمر الابنة فى حديثها حتى تصل إلى الاعتراف بالحقيقة ، حقيقة الكائن الحى وهى الانتقال الى آخر منزل يسكنه الناس حيث لا حجرات ولا طرقات وإنما مستطيل بحدود الجسد فتقول لها إن مسعانا سوف ينتهى الى قبرى وهو منزلى ، ولا تعجبى يا أمى فانه ليس منزلا لى وحدى وإنما « له الجموع تصير » فتلك نهاية كل حى •

ولأمر ما آثرت التعبير بقولها ينتهى وكان بامكانها أن تقول : سيصل المسعى أو سيؤدى المسعى أو غير ذلك وهذا الأمر يتضح من الموقف الذى تعيشه فى النهاية لا محالة ، واكتفت لوصف اللحد بقولها : « هو منزلى وله الجموع تصير » ؛ مع أنها بامكانها أن تصف اللحد بأبشع صورة فهو المخيف

المظلم الموحش الذى لا رفيق فيه ولا أنيس ولكن هذه الأوصاف سوف تبث الروع فى قلب الأم ، والعبارة على لسان الابنة التى تريد أن تخفف من آلام أمها فتؤكد لها أن هذا الحديث يتكرر فى كل يوم وهو المعنى المستفاد من التعبير بالمضارع فى قولها « تعبير » والجمع فى « جموع » للتهوين من الأمر رغم صعوبته فى واحدة من مجموع كالقطرة الواحدة فى محيط خضم أو فى مطر منهمر .

٢٣ــ قولى لرب اللحد رفقاً بابنتى
جاءت عروساً ساقها التقدير

المعنى العام :

ثم تقول وهذا القول من عاطفة الأم وحدها لا يمكن أن يكون من تعبير الابنة وذلك للمفارقة بين البيت الذى قبله وبينه حيث أنها ترجوها أن تقول للقابر « الذى يقوم بالدفن »(٤٧) ترفق وأنت تحمل إبنتى الى آخر مثواها فانها ليست مجرد جثة زهدت فى الدنيا بعد طول حياة ، وإنما هى عروس كأن الأنسب لها أن تكون فى عزها وبينها تغمرها السعادة وتأتيها الحياة من كل جانب فاذا بالحياة تتبدد وتصبح موتاً قدره الله سبحانه وتعالى فلا راد له ، وكل مطالبها تتجسد فى مطلب واحد فقط هو الرفق بوحيدتها عند اللحد .

---

(٤٧) وذلك من قول الشاعر :
لو أسندت ميتا الى صدرها
قسلم ولم ينقل الى قابر ..

التحليـل البـلاغى :

يأتى هنـا دور الأمـر المبين معنى الرجـاء فى قولها « قولى » وإيمـاء التعبـير بكلمـة رب الذى يختلف عن كـل الأسباب فهـو ليس رب أسـرة ولا رب نعمـة ولا رب أمـر يتصـل بالحيـاة .. وإنمـا هـو رب قبـر ويأتى المصـدر الذى حـذف عامله فى قولها « رفقـاً » بمـا يشتمل عليـه من اقتصار فى التعبـير حيث أن الأصـل ترفق رفقـاً والاسـناد الى يـاء المتكلم فى قولها « إبنتى » الذى يوحى ببث كـل معـانى الرحمـة وانتزاع العاطفة من مهدها .

وتلعـب الحـال دورهـا فى قولها « عروسـاً » حيث تبنى الصـورة التى جـاءت عليهـا ولكن هيهـات مابين كونهـا مقبـلة عروسها الى عشـها وبين كونهـا عروسـاً تسعى الى لحدهـا . وانظـر الى قولهـا « ساقها التقـدير » وما يشتمل عليـه من معنى الانقيـاد الذى يخفف منـه كـونه من قضـاء الله وقـدره ، فهنـا استعملت حكمـة « التقـدير » فى موضعها ومكانها فكانت مناسبة لما قبلهـا من كـلام .

٢٤ـ وتجـلدى بـازاء لحـدى برهـة
فتـراك روح راعهـا المقـدور

المعـنى العـام :

وتستأنف الأم فى بيـان حديث ابنتهـا الذى يعصف بهـا برغم نصيحتها لهـا أن تتجـلد وهـو واقفة على قبرهـا ومـدة التجـلد لا تزيـد عن برهـة لتراهـا الروح الذى نزعت بهـذا الوداع وهيهات أن تتجـلد أم ثكـلى لكنـه هنـا الرجـاء والطمـع .

التحليـل البـلاغى :

والبيت يرسـم صـورة لمنظـر تلك الأم التى تظهـر الصـبر

والجلد وما بداخلها بركان ينهار وعاصفة تدمر والأمر فى قولها « تجلدى » وهو مصوغ على صيغة تفعلى للدلالة على بذل الجهد فى سبيل التجلد • وفى قولها « برهة » إنصاف واعتدال حيث أنها أم فلا تطيق التجلد أكثر من برهة ، والفاء فى قولها « فتراك » للتعليل لأن الروح لا ترى إلا المتجلدين •

٢٥ــ أماه قد سلفت لنا أمنيـــــة
يا حسنها لو ساقها التيســـــير

المعنى العام :

وتناديها قائلة لها يا أمى لقد كانت لنا مع الحياة أمنية وما أكثر الأمنيات فى الحياة لو لم يمضى زمانها أو نتجاوز بها ايام حد الواقع والتحقيق الى حد الوهم وتستحسن صورة الخيال لو صار واقعاً وقدمته الأقدار مثلما قدرت الموت ، فبذلك تكون ميسورة غير عسيرة مزلة غير صعبة •

التحليل البلاغى :

ولحكمة قررت ساقها هنا مثلما ذكرته فى قولها « جاءت عروساً ساقها التقدير » إذ أن الأمر كله بيد القدر الذى يسوق الناس اما الى موت واما الى أمنيات مستحيلة ، والتأكيد فى « قد سلفت لنا » يدل على أنها كانت أمنية عظيمة يؤكد عظمتها التنكير فى قولها « أمنية » والنداء فى « يا حسنها » لرسم صورة تلك الأمنية فى النفس التى عز عليها أن تنال ما تمنيت •

٢٦ــ كانت كأحلام مضت وتخلفـــت
مذ بان يوم البين وهو عســـير

المعنى العام :

وتصف لنا هذه الأمنية بأنها الأحلام ، ولكنها الاحلام التى تخلفت وما جعلها تتخلف إلا البين والفراق وهو أمر ليس يسيراً وإنما عسرة على القلوب ومشقته على النفوس واضحة فما أصعب أن تكون أمنيات المرء فى حياته أحلاماً تولت فلم يبق منها رسم أو شكل أو أثر وإنما لو طلبت من خيالك أن يستعيدها لعزت عليك الرؤية وتخلفت عنك المعالم ، ونلمس التأسى فى قولها كانت ووجه الشبه الضياع فى قولها « كأحلام » لأن الحلم ربما يكون جميلا لو كان فى مستقبل الانسان ؛ أما إذا كان حلماً مضى والحلم خيال وأوهام فذلك أمر عسير على النفس أن نخوض فى أحلام ماضيها بعدما فقدت واقع حاضرها واستيأسته من جمال مستقبلها ، والمادة اللغوية البارزة « ب • ى • ن » البين يعبس بها •

وهناك تجانس بين « بان » و « بين » ••

٢٨ــ صونى جهاز العرس تذكاراً فلى
قد كان منه إلى الزفاف سرور

المعنى العام :

تلتمس الابنة من الأم أن تصون لها جهاز عرسها ليكون ذكرى تتأملها وتستعيد معها الذكريات التى لم تحدث والتى معناها أن الابنة كانت تسر بها الجهاز لو عاشت وقدر لها أن تزف به وتسعد وتسعى اليه لكنها فارقته فبقى سريرها خالياً ومرآتها لا ترى إلا الفراغ الذى يؤلم الناظرين •

التحليل البلاغى :

المتأمل فى قولها « صونى » يجد أنه أمر للرجاء كما

يوحى قولها جهاز بالعدة والعتاد ، وربما هذه كانت إشارة الى أنها كانت على وشك الزواج أو أنها على عادة البيئة المصرية قد جهزت قبل الأوان ، ويلعب المفعول لأجله دوراً هاماً فى قولها تذكاراً حيث يبين مدى الثراء الذى كانت عليه هذه الأسرة • فان أمها لن تستخدمه وليست فى حاجة إلى أن تبيعه وانما سوف تحتفظ به تذكاراً يذكرها إن نسيت •

والأسلوب المؤكد فى قولها « قد كان منه » بوسيلة « قد » لافادة التحقيق وحق لكل عروس أن تسر بجهازها •

٢٩ــ جرت مصائب فرقتى بعد ذا
لبس السواد ونفد المسطور

المعنى العام :

تحدث أمها مشفقة عليها بأن موتها كان مقدمة للبس السواد وعيش الحداد والاستسلام للقدر الذى لا مفر منه ولا مهرب •

والمحلل للبيت لا يستطيع أن يمر على كلمة « جرت » دون أن يقف مستوحياً كل المصائب فقلما استعملت « جرت » فى الأفراح والسعادة كذلك الجمع فى قولها « مصائب » المضاف إلى « فرقة » •

التحليل البلاغى :

الملاحظ فى هذا التركيب أن المفرد أضيف إلى الجمع وذلك المفرد هو كلمة « فرقة » والجمع « مصائب » فكأن الفرقة لا تسبب مصيبة واحدة وإنما تسبب مصائب شتى

وكـذلك التخصص فى « لك » و « لبس السـواد » الذى صـبغ بلـون الحـداد وهـو ما يـدل عليـه قولهـا « مصـائب فرقتى » فقـد يتبـادر الى الذهـن أن لابس السواد ليس بالضرورة أن يكون فى حـداد فيزال هـذا الشـك بقولهـا مصـائب فرقتى فالكـلام مرتبط ببعضـه • والبنـاء للمجهول فى « نفـذ المسـطور » يـدل أنـه لا دخـل لانسـان فى تنفيـذ القـدر فهـو نافـذ رغـم أنف الجميـع • وفى هـذا البيت أيضـاً استعارة فى « وجـرت مصائب فرقتى لك » وتشـبيه بليـغ •

٣٠ــ والقبر صـار لغصن قدى روضـة
ريحانهـا عنـد المـزار زهـور

المعـنى العـام :

ثم توجـه حديثهـا إلى القبـر وتصوره على أنـه روضـة لكنهـا ستفوح بالزهـور عندما يزورهـا أهلهـا • ويبـدو هنـا تأثرهـا بالحـديث النبـوى الشريف فى قـوله « روضـة » حيث قـال الرسـول الكـريم صلوات الله وسلامه عليـه :

« إنمـا القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »(٤٨) •

وفى قولهـا « صـار » ما يفيـد التحويل والأصـل غـير ذلك حيث أن القبـر إمـا روضة من رياض الجنـة أو حفرة من حفـر النـار منـذ الأذل •

وفى قولهـا « عند المـزار » تخصيص لفيحان الريحان وأنـه فقط سيبث رائحته الطيبة عند الزيـارة •

---

(٤٨) أخـرجه الترمذى كتـاب القيامة : حديث رقـم ٢٤٦٠ ، ٦٤٠١٤ بتحقيق ابراهيم عطـوه عـوض .

٣١ــ أمــاه لا تنــسى بحــق بنـــوتى
قبــرى لئـــلا يحـــزن المقبـــور

المعــنى العـــام :

وتناديها سائلة إياهــا وكلهــا رجــاء ألا تنسى زيارتها وتظهــر قيمــة الاستعطاف بندائها « أمـــاه » وفى تذكيرها بحق البنــوة التى ستحرم منهــا ألا تنسى زيارتهــا حتى لا تحــزن .

التحليــل البــلاغى :

نجــد النهى فى قولها « لا تنسى » للرجــاء والقسم فى قولهــا « بحــق بنــوتى » وإن كــان غــير شرعى ، لقول رسول الله ﷺ : « الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . ليحلف حالف بالله أو ليسكت »(٤٩) إلا أنــه فى العاطفة يؤدى دوراً كبــيراً حيث أن للبنــوة حقــاً عند الآبــاء والأمهــات يؤدى قبــل حــق النفس ، والملاحظ هنــا أنهــا أســندت الزيارة للقبــر ولم تسندها لنفسها « ولا تنسى... قبرى » لأن المجــاز المرسل هنــا الذى علاقته المكانية يؤدى معنى الاحساس بضعف من فيــه وأنــه لم يعــد شــيئا وتعــلل ذلك بقولهــا ... « لئــلا يحــزن المقبــور » .

٣٢ــ ورجــاء عفــو أو تــلاوة منـــزل
فسواك مــن لى بالحنيــن يـــــزور

المعــنى العـــام :

وتحــدد لهــا ما ســوف تفعــله الأم عند الزيارة بأن ترجــو

---

(٤٩) اخــرجه الترمذى كتــاب النذور والايمــان ٤/١١٠ : طبــع الحــلبى .

الله تعالى العفـو والمغفرة لهـا وأن تتـلو عليهـا بعض آيات القرآن الكريم وليس بغريب عيهـا أن تفعـل ذلك فليس للابنـة سوى أمهـا مـلأت حنينـاً لكى تزورهـا •

ولقـد عبرت بالمصـدر فى قولهـا : « رجـاء » وهـو معمول لمحـذوف يـدل عليـه المذكـور قبـله والتقدير « لا تنسى رجـاء عفـو » •

التحليـل البـلاغى :

وفى قولهـا : « تلاوة منـزل » كنـاية عن القـرآن الكريم •

ثم تنهى البيت بهـذا الاستفهام المـروع : « فسواك من لى بالحنين يـزور » ؟ فهـذا الاستفهام الذى يحمـل معنى النفى فـان قـال قـائل إن الزوار كثيرون • قـلت ان فى قولهـا « بالحنيـن » ما يحـدد أنـه لا أحـد سوى أمهـا فقـد يكثـر الزوار ولـكن بلا حنيـن •

٣٣ـ فلعلمـا أحـظى برحمـة خـالق
هـو راحـم بـر بنـا وغفـور

المعـنى العـام :

ويصـل الكلام بعضه البعض ويتصل • فلعلهـا بهـذا العفـو وتلك القـراءة تحظى برحمـة خالقها وهـو سبحانه وتعـالى بـر بالعبـاد ورحيـم بهـم •

التحليـل البـلاغى :

يأتى قولهـا « فلعلمـا » بفـائه التى تفيـد التعقيب وهـو السرعـة ومصـداقاً لقـول الله تعـالى : « **إن رحمت الله قـريب**

بالحسنين »(٥٠) وفى قولها « أحظى » ما يدل على الغبطة والسرور برحمة الله وعفوه ، ويعتبر البيت أنشودة تغنت بها الابنة حيث ذكرت من أسماء الله الحسنى :

« خالق • راحم • بر • غفور » ••

وصدق الله العظيم إذ يقول :

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »(٥١) •

فما أصدق ما دعت به الابنة وما أرق دعواها وما أعظم طمعها فى رحمة الله الرحيم •

٣٤ــ فأجبتها والدمع يحبس منطقى
والدهر من بعد الجوار يجور

المعنى العام :

وتجيب الأم مسرعة : حالة كون الدمع يحبس لسانها ويبدو لها الزمن جسد فى صورة الجائر الظالم الذى لم يرحم انثكالى ولم يعطف على المساكين •

والجملة الحالية فى قولها « والدمع يحبس منطقى » تؤدى دور الصورة التى كانت عليها حيث أنها أجابت بالدمع قبل أن تجيب بالكلام وإن كانت قد أرادت الكلام فعلا وكان الذى حبس منطقها هو الزمن الذى سبب الدموع ويبدو هنا جلياً فى الاستعارة بالكناية •

« والدهر من بعد الجوار يجور » فقد شخصت الدهر فى صورتين •• الأولى : صورة جار كريم • والثانية : فى صورة

---

(٥٠) سورة الأعراف : ٥٦ .
(٥١) سورة الأعراف : ١٨٠ .

جـائر أى ظـالم ، ومـا أصعب أن يتحـول الجـوار إلى جـور وفى ذلك جنـاس ناقص بين الجـوار ••• يجـور •

الذى تضمن معنى التضـاد ومما يـدل على أن المحسـنات البلاغية ليسـت مجـرد أشكال زخرفية وإنمـا هى مرتبطة بالمعنى •

٣٥ـ بنتـاه يا كبـدى ولوعـة مهجـتى
قـد زال صـفو شـأنه التكـدير

المعـنى والتحليـل :

وتناديهـا أمهـا : بأجمـل ما تستعار لـه الكلمات « كبدى » وترد ذلك بقولهـا « لوعـة » وأيـة لوعـة إنهـا لوعة القلب والوجدان بعـد أن رحـل الصـفاء وتغيرت ملامحه ويبـدو التجانس الصوتى فى قولهـا « بنتـاه » رداً على قولهـا « أمـاه » فهـل تذكـرت فى ذلك قـول الله تعـالى : **« هـل جـزاء الاحسان إلا الاحسـان »(٥٢)** وتؤكـد زوال ذلك الصـفو بقولها : « قـد زال صـفو شـأنه التكـدير » وجمـلة النعت « شـأنه التكـدير » تبين أن الصـفو لم يرحـل صـفواً وإنمـا رحـل مكـدراً •

٣٦ـ لا توصى ثكلى قـد أذاب وتينهـا
حـزن عليـك وحسـرة وزفـير

المعنى العـام والتحليل البلاغى :

تنهى الأم إبنتهـا عن توصيتها وهى ثكـلى أذاب وتينهـا(٥٣) الحـزن ـ على وداعهـا وحسرة وزفـير أسى لم يـزل يدوى فى

---

(٥٢) الرحمن : ٦٠ .
(٥٣) الوتن : عـرق فى القلب اذا انقطع مـات صاحبه .

حـلك حياتهـا ويتبـادر إلى الذهن أن النهى فى قولهـا « لا توصى » للرجـاء • بيـد أنى أرى أنـه للتقرير وتفـد الينـا لفظة « ثكلى » عن أعمـاق المـاضى كى تذكرنا بالنوازل والمصائب وحروب العـرب ومعـامع الجاهلية التى تترك النسـاء ثكـلى بعـد فقـد الـزوج أو الولد ويالليتهـا ثكـلى وبهـا قـدر من الصـحة وإنمـا هى ثكلى ممـزقة تعيش بوتين مـذاب تراكمت عليـه الأحـزان والحسرات •

٣٧ــ قسـماً بغـض نواظـرى وتلهـفى
مـذ غـاب إنسـان وفـارق نـور

المعـنى العـام :

وتقسـم بغض عينيهـا وتلهف قلبها منـذ أن غـابت الانسانية فى شخصية إبنتهـا فـارق نـور حياتها نهائيـاً •

التحليـل البـلاغى :

وينتصـب المصـدر قولهـا « قسـماً » ليـدوى فى آفـاق المسـامع بفاعله المحذوف أقسـم قسما والمقسم بـه غـض النواظر لأنهـا عين حـق لهـا أن تكـون مغضوضة بعـد فقدان من كـانت تمـلأ عينـاها من النظـر لهـا •

٣٨ــ وبقبلتى ثغـراً تقـضى نحبـه
فحرمت طيـب شـذاه وهـو عطـير

المعـنى العـام :

وتستكمل قسمها السـابق حيث أقسمت هنـا بقبلتها ثغـر إبنتها التى تنـزف آخـر لحظـة من عمرها ، وكـان ذلك سـبباً فى حرمانها من طيب الشـذى وعطـره الجميـل ويالهـا من شـاعرة عظيمـة

تختار المصادر دون غيرها . ألا ترى قولها « قبلتى ، طيب » فكأن هذه الابنة كانت لها مصدراً لكل شيء جميل .

التحليل البلاغى :

التنكير فى « ثغراً » لتعظيمه بلا شك أو قبل أن تقودها العاطفة الى ما وراء الخيال تسعفها ذاكرتها القرآنية بقولها : « **قضى نحبه** »(٥٤) من قوله سبحانه وتعالى : « **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** »(٥٤) ، والنداء للمجهول فى قولها « حرمت » لبيان أن الأمر ليس أمرها وإنما أمر السماء الذى ينبغى أن تمتثل له .

٣٩ــ والله لا أسلو التلاوة والدعا
ما غردت فوق الغصون طيور

المعنى العام :

وتستكمل قسمها بلفظ الجلالة والله . معلنة أنها لن تنسى التلاوة والدعاء مادامت الطيور تغرد فوق الغصون وياله من قسم بديع وجواب بديع لاختيار كلمة « أسلو » التى فضلتها على أنسى لأن النسيان يكون للشيء اليسير بخلاف السلو للشيء العظيم لأن معناه إتخاذ عامل مساعد على النسيان وليس هناك أعظم من فلذة كبد ليس نسيانها بالأمر الهين اليسير .

التحليل البلاغى :

أحسنت الشاعرة فى ترتيبها حيث قدمت التلاوة على الدعاء

---

(٥٤) الاحزاب : ٢٣ .

لأن الدعـاء من نتـائج التـلاوة ، وقولهـا « ما غـردت فـوق الغصون طيـور » من التعريض اللطيف فهـل كانت ابنتهـا إلا طيراً يغـرد فى غصـن حياتهـا •

٤٠ــ كـلا ولا أنسى زفـير توجـعى
والقـد منك لـدى الثـرى مدثـور

المعـنى العـام :

تؤكـد النفى فى قولهـا « كـلا » ويالـه من معنى مفجـع حيث أنهـا صممت ألا تنسى زفـير وجيعهـا وسـوف يظـل قـد ابنتهـا ماثـلا أمامهـا وإن كـان قـد دفـن فى التـراب •

التحليـل البـلاغى :

تأتى « كـلا » على معنـاها الذى يفيـد التأكيد ويشعرنا بأننا أمـام لوحـة كـل ما فيهـا معنى سـام محقق •

وفى قولهـا : « زفـير توجعى » إشـارة بالحـركة ونقـل لأحاسيس يشاركها فيهـا كـل انسـان ذى قـلب •

ويا جمـال قولهـا « لدى الثـرى » فالثـرى أصـبح المثوى وأصـبح القـرار ولكن هيهـات هيهـات أن يخفى التـراب قـداً إرتسـم فى العينين وسـكن بين الضـلوع •

٤١ــ أننـى الفـت الحـزن حتى أننـى
لـو غـاب عـنى سـاءنى التأخـير

المعـنى العـام :

وتقـرر الأم بعـد الـوداع أن الحـزن أصـبح ألف واستحال عـادة الى درجـة أن الحـزن لـو غـاب افتقدته وساءها غيـابه •

التحليـل البـلاغى :

فى قولهـا : « حتى أننى » تفصيل بعـد إجمال وبيان لمـدى ألفهـا للحـزن ، ومعنى « حـتى » هنـا لدرجـة أننى .

وفى اختيـار (الحـزن ، وغـاب ، وسـاء ، والتأخـير) دلالات على ما تعانيه الأم الثكـلى من وداع إبنتهـا .

٤٢ــ قـد كنت لا أرضى التبـاعد برهـة
كيـف التصـبر والبعـاد دهـور

المعـنى العـام :

وتعـلل لذلك وكأنهـا تريد أن تقـول لنـا أن لى الحق فيمـا أقـوله وبيـانه أنهـا كانت لا تحتمـل بعـد ابنتهـا عنهـا برهـة من الزمن فكيف تصـبر على بعـاد موعـده الحشـر .

التحليـل البـلاغى :

« قـد » هنـا للتأكيد وهى مكانية ويلعب المـاضى فى قولهـا « كنت » دور الجميـل الذى غـات والحبيب الذى مـات وليس لدبهـا أقـل من قولهـا « برهـة » لافـادة عـدم تحمل البعـد ويسـدل السـتار على استفهام الغرض منـه النفى « كيف التصبر والبعـاد دهـور ؟ » .

٤٣ــ أبكيـك حـتى نلتقى فى جنـة
بريـاض خـلد زينتهـا الحـور

المعـنى العـام :

لذلك تعدهـا بأنهـا سـوف تظـل تبكيها الى أن تلتقى بهـا فى عفـو الرحمن وجنتـه حيث الرياض التى زينتهـا الحـور العين .

التحليـل البـلاغى :

ودلالة معنى الاستمرار واضحة فى المضـارع فى قولها « أبكيك » و « حـتى » تفيـد الغـاية ، و « نلتقى » توحى بالأمل البعيـد والتنكير فى « جنـة » للتعظيـم ، وقولهـا : « زينتهـا الحـور » تشـبيه ضمنى فمـا ابنتهـا إلا عـذراء حـورية الجسـم والروح ، مصيرها الجنـة باذن الله .

٤٤ــ إن قيـل عائشة أقـول لقـد فنى
عيـشى وصـبرى والالـه خبـيـر

المعـنى العـام :

تحـاول الشـاعرة فى هـذا البيت أن تسـجل إسمها لكنـه تسجيل فـريد من نوعـه .. فـلو لم يكن اسمها عائشـة ما ذكـرت اسمها فى هـذا البيت ولكن لأن اسـم عائشة هـو اسـم فاعـل من عـاش فتقـول إن نادانى النـاس وقـالوا يـا « عائشـة » أقـول أين هـذه العيشـة وهـذه الحيـاة .

التحليـل البـلاغى :

نلمس الطباق فى قولها « عائشـة » و « فـنى » وتأتى الجملة الأخـيرة التى هى بمثـابة القسـم حيث تقـول « الالـه خبـير » أى أننى لا أدعى هـذه الحقيقة فالله بهـا أعـلم .

٤٥ــ ولهى على « توحيدة » الحسن التى
قـد غـاب بـدر جمالها المسـتور

المعـنى العـام :

وتذكـر فى هـذا البيت اسـم ابنتهـا ولنفس العـلة فـان ابنتهـا اسمها « توحيـدة » فتنعتها بأنهـا توحيدة فى الجمـال

والحسن وقد رحل هذا الجمال وغاب هذا البدر فحق لها أن تقول : « ولهى » .

التحليل البلاغى :

وتؤكد الكلام السابق بقولها قد غاب وتستعير لجمالها كلمة « بدر » ، أما قولها « المستور » فانما هو إيحاء بأن جمالها لم يتفتح ولم تظهر للخلائق بعد .

٤٦ــ قلبى وجفنى واللسان وخالقى
راض وباك شاكر غفور

المعنى العام :

وهنا توضح لنا بأن القلب راض .. والجفن باك .. واللسان شاكر .. والرحمن سبحانه غفور فتعيش معها فى سكينة نفس هدأت من بعد ثورة واطمأنت بعد فزع .

التحليل البلاغى :

تجمع الشاعرة بين القلب والجفن واللسان والمولى سبحانه وتعالى بطريقة اللف والنشر المرتب .

٤٧ــ متعت بالرضوان فى خلد الرضا
ما ازينت لك غرفة وقصور

المعنى العام :

تدعو لها بأن تتمتع بالرضوان فى جنة الخلد وبأن تتزين لها القصور والغرف .

التحليل البلاغى :

والبناء للمجهول فى قولها « متعت » للعلم بالفاعل فان

الذى يمنحهـا هـو الله وكـأن ذلك هـو التضمين فـان آخـر كلمة فى البيت الذى قبـله « غفـور » والغفـور من عفى فمتـع المذنبين بعفـوه وجنتـه ، وعطف « القصـور » على « الغـرفة » من باب السـعة فى اللغـة فمـاذا بعـد القصـور من مطمـع ؟

٤٨ـ وسمعت قول الحق للقوم ادخـلوا
دار السـلام فسـعيكم مشـكور

المعـنى العـام :

وتدعـو لهـا أن تسـمع قـول ربهـا حين ينـادى المنـادى لمـن يدخلون الجنـة قـائلا « ادخـلوا » وقـول زمـرة الملائكة سـلام عليكم فتقـول لهـا « وسمعت قـول الحق للقوم ادخلوا » ربا لتأثـير قولهـا « القـوم » الذى يفيـد أنهـا ستحشر مـع الصالحين المؤمنين •

وقولهـا « فسعيكم مشـكور » تعليـل لمـا قبـله فلـولا شـكر السـعى ما دخـل النـاس جنـة ربهـم •

٤٩ـ هـذا النعيم بـه الأحبـة تلتـقى
لا عيـش إلا عيـش المبـرور

المعـنى العـام :

وتبين لنـا أن هـذا النعيـم تلتقى فيـه الأحبـة الصالحين وأن العيش فيـه عيش مبـرور ولا ريب فالذنب مغفـور •

التحليـل البـلاغى :

وتشـير إلى « النعيـم » بقولهـا « هـذا » وهـو اشارة لقـريه تفيـد استحضار الصـورة فكأنهـا تـرى النعيـم ماثـلا أمامهـا تشـير إليـه بيدهـا •

وفى قولهـا « الأحبـة » نجـد ما يؤكـد أمنيتها بأن تلتقى مع إبنتهـا فى الجنـة التى تضمها سـوياً وتؤكـد ذلك بقولهـا : « لا عيش إلا عيش المبـرور » بالنفى والاستثناء وهـو من طـرق القصـر •

٥٠ـ ولك الهنـاء فصدق تاريخى بـدا
توحيـدة زفـت ومعهـا الحـور

المعـنى العـام :

وترجـو لهـا الهنـاء الذى هـو وعـد الله للمتقين ثم تستعيد معهـا الذكريات حيث قـالت لهـا « صـونى جهـاز العـرس » فتقـول لهـا إن عرسـك فى الجنـة « توحيـدة •• زفـت » من الذى زفهـا إنهـن الحـور اللاتى رحبن بهـا •

التحليـل البـلاغى :

والتقـديم فى قولهـا « ولك الهنـاء » للتخصيص • وفى البنـاء للمجهول فى قولهـا « زفـت » ما يفيـد جمـال الزفـاف مـع الحـور •

« الخاتمـــة »

أحمـد الله سبحانه وتعـالى حمـد الشاكرين وأصلى وأسلم على سـيد الأولين والآخرين سيدنا محمـد ﷺ ... وبعـد :

فمن خـلال دراستى لهـذه القصيدة دراسـة بلاغية نقـدية وجـدت أن كاتبـة هـذه القصـيدة .. قـد جـاءت بكثـير من الفنـون البلاغيـة منهـا :

فى عـلم المعـانى :

١ ــ تحـدثت عـن البـــ لاغة

فى قولهـا : « وارأف بعين حرمت طيب الكـرى » فى البيت السادس عشر آثـرت الرأفـة دون الرحمة لأنهـا تشمل الرحمـة وزيادة وهـذا أمـر يقتضيه المقـام وهـو صلب البـلاغة التى هى مطابقـة الكـلام لمقتضى الحـال مع فصاحته .

ثم ذكـرت فى ٢ ــ الاســناد الخبـــرى

ــ فى البيت التاسـع « فتغيرت وجنـات خـــد » والغرض منـه التقـرير والحـزن ولفـت النظـر الى جمال إبنتهـا كـامن فى خديهـا .

ــ وذكرت من أضرب الخبـر الابتدائى وهـو أن يكون المخاطب خـالى الذهن من الحـكم الذى تضمنته الجمـلة فى قولهـا « جـاء الطبيب ضحى وبشـر بالشـفا » .

وقد جاءت ٣ ـ بالتنكير

وتنوعت معانيه فى أبياتها ، ففى البيت الأول جاءت كلمة بحور نكرة للكثرة والابهام • وفى البيت الثانى فى قولها « عين وقلب » للعموم والشمول ، وكذا فى البيت « لوعة وثبور » للتهويل •

وفى البيت السادس « نار وزفير » فالنار للكراهة والزفير للتهويل •

وفى البيت الخامس والعشرين « أمنية » للتعظيم •

وذكرت أيضا ٤ ـ التقديم والتأخير

فى البيت الثانى تقديم فى قولها : « لكل عين حق مدرار الدما » قدمت الخبر على المبتدأ •

وفى البيت الأخير فى قولها : « لك الهناء » أفاد التقديم التخصيص •

وفى البيت السادس عشر فى قولها « حرمت طيب الكرى » وهو من إضافة الصفة الى الموصوف •

ـ أما من تقديم بعض المتعلقات على بعض ••

فى البيت التاسع « فتناولت منها ابنتى » أفاد هنا العناية بالمقدم •

ثم ذكرت ٥ ـ الأسلوب الانشائى

فى البيت الخامس عشر « ارحم شبابى » أسلوب أمر •

وفى البيت الحادى والعشرين « أماه » أفاد النداء وهو يشعر بالألم •

وفى البيت الخامس والعشرين « أمـاه قـد سلفت لنـا أمنية » فالنـداء فى يـا حسنها رسـم صـورة الأمنيـة .

فى البيت الثـامن والعشرين فى قولهـا « صـونى » أمـر أمـاد الرجـاء .

فى البيت الثـانى والأربعين فى قولهـا « كيف التصبر والبعـاد دهـور » ؟ أسلوب استفهام .

وذكـرت من ٦ ــ عطف العـام على الخـاص

فى البيت الرابـع فى قولهـا « وغـدت بقلبى جـذوة وسعير » وفائدته التـدرج والتفـاعل .

وذكـرت من الـوان البيـان

٧ ــ التشـبيه

فى البيت السـادس فى قولهـا « ناهيـك ما فعـلت بمـاء حشاشتى » حيث شبهت الحشاشة بالمـاء ولا مشابهة بينهمـا .

وفى البيت الثـامن : « كاسات الـردى » تشـبيه بليـغ .

وفى البيت الحادى عشر شبهت المـوت بشراب فى قولها « ذاقت شراب المـوت وهـو مـرير » .

وفى البيت الحادى والعشرين : « نعشى كالعروس » وهو تشبيه غـريب فيـه بيـان لجوهـر هـذا الوجـود .

وفى البيت التاسع والعشرين فى قولها : « جـرت مصائب فرقتى اك بعـد ذا » تشـبيه بليـغ .

وفى البيت الثالث والأربعين فى قولهـا « زينتهـا الحـور » تشـبيه ضـمنى .

وذكـرت من ٨ ــ المجـــاز المرســـل

فى البيت الحـــادى والثلاثين فى قولهـــا : « ولا تنسى قبـــرى » مجـــاز مرســـل علاقته المكانية •

وجـــاءت بكثير من ٩ ــ الاســـــتعارات

فى البيت الأول « الدهـــر بـــاغ والزمان غـــدور » اســـتعارة مكنيـــــة ••

فى البيت الثالث استعارة تصريحية فى قولهـــا « ســـتر الســـنا وتحجبت شمس الضـــحا •• وتغيبت بعـــد الشروق بـــدور » •

وفى البيت السادس فى قولها « نـــار لهـــا بين الضلوع زفـــير »•

وفى البيت السابع استعارة مكنية فى « لو بث حزنى فى الورى »•

وفى البيت الثـــامن استعارة مكنية فى « طافت بشهر الصـــوم كاســـات الـــردى » •

وفى البيت العـــاشر استعارة تصريحية فى قولها « غزوت أزاهـــير الحيـــاة بروضها » •

وفى البيت الرابـــع والثلاثين استعارة مكنية فى قولها « والدهـــر من بعـــد الجـــوار يجـــور » •

وجـــاءت بـــ ١٠ ــ الكنـــــاية

فى البيت الثـــانى فى قولها « مـــدرار الدمـــا » كنـــاية عن غـــزارة الدمـــع •

وفى البيت السادس « وبين الضـــلوع » كناية عن القلب •

وفى البيت الثـــامن « أكـــواب الدموع تـــدور » كنـــاية عن غـــزارة الدمـــع •

وفى البيت السادس عشر « تشكو السهاد » كناية عن إظهار الألم •

وفى البيت الثانى والثلاثين « تلاوة منزل » كناية عن القرآن الكريم •

وذكرت من المحسنات البديعية :

١١ ــ المشاكلة

فى البيت الثامن مشاكلة فى المعنى « تدور وطافت » •

وجاءت بـ ١٢ ــ اللف والنشر

فى البيت السادس والأربعين فى قولها :

« قلبى وجفنى واللسان وخالقى
راض وبالك شاكر غفور »

وهو من النشر المرتب ••

وذكرت ١٣ ــ الجناس

فى البيت الخامس فى قولها : « نوى والنوى » وهو من الجناس التام •

وفى البيت السادس والعشرين فى قولها « مذ بان يوم البين » فهو جناس ناقص •

وفى البيت الرابع والثلاثين « بين الجوار ويجور » جناس ناقص •

وجاءت بعد ذلك بـ ١٤ ــ الموازنة

فى البيت الثامن • حيث وازنت بين صنع القدر وصنع آلام المريضة التى لا حول لها ولا قوة •

وذكـــرت ١٥ ــ التضـــمين

فى البيت السابع والأربعين فى قولها : « متعـت بالرضـوان فى خـلد الرضى » ..

وذكـرت أيضـا ١٦ ــ الترصـــيع

فى البيت الخامس فى قولهـا :

« ياليتـه لمـا نـوى عهـد النـوى
وافى العيـون من الظـلام نذيـر »

ومن خـلال تجربتى فى تحليـل القصـيدة السابقة توصلت الى النتـائج التاليـة :

١ ــ أن الشـاعرة استعملت من أبحـر الشعر بحـر الكامل لأن أبرز ما يتميز بـه هـذا البحـر هـو إتساعه للمعـانى الجليلة حيث أن وزنـه متفاعل سـت مرات وكثـرة الحركات والسكنات تتيح للشـاعر أن يعبـر عن المعـانى الطويلة .

٢ ــ هـذه القصـيدة تستقصى أطـراف الموضوع فى تسلسل مقنع وعبـارة واضحة ، فـكل ألفاظها متناسقة متناسبة تعـد معزوفة موسيقية من واد واحـد ألا وهـو الحـزن .

٣ ــ والبلاغة فى القصيدة بلاغـة شاملة بعـدت عن الجزئيات فقـد ذكرت كمـا سبق توضيحه فى عـلم المعـانى كثير من الأبواب ؛ ومن عـلم البيـان ذكـرت الاستعارة سـواء كانت مكنية أو تصريحية ونجد المكنية كثرت وقلت التصريحية وليس فى القصيدة استعارة تمثيلية وجـاءت بالتشبيهات المفيـدة المفـردة كثـيرا والمركبة نـادراً .

وقد جاءت بتشبيهات غريبة كتشبيه النعش بالعروس ؛ وغير ذلك • وذكرت أيضاً من أصناف البديع كما أوردتها •

ومما سبق نجد أن الشاعرة أوردت البلاغة دون تكلف •• تنساب كما ينساب الماء الزلال وهى بذلك تؤكد أن دراسة البلاغة تنتمى إلى الذوق أكثر مما تنتمى الى القواعد الجافة •

تم بحمد الله ،،

د• منى محمد على عيد
مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
بسوهاج

مراجـــع البحـــــث

١ ــ ابن هشـــام فى معـــانى الحـــروف •

٢ ــ الأعـــلام للزركلى ــ دار العـــلم للملايين •

٣ ــ أعـــلام النســـاء فى علمى العـــرب والاسلام ــ تأليف عمـــر رضـــا كحـــالة ــ مؤسسة الرســـالة •

٤ ــ إيضـــاح المكنون للبغدادى ــ دار الفـــكر •

٥ ــ بغيـــة الايضاح ــ عبد المتعـــال الصعيدى ــ المطبعة النموذجية•

٦ ــ بلاغـــة النســـاء ــ لفتحية محمـــد •

٧ ــ البيـــان والتبيين للجـــاحظ ــ نشـــر الخانجى مصـــر •

٨ ــ تاريخ الأســـرة التيمورية •

٩ ــ حاشية الدسوقى ضـــمن شروح التلخيص ــ طبع الحلبى •

١٠ــ دلائل الاعجـــاز بتصحيح الشيخ محمـــد عبـــده ــ نشر السيد محمـــد رشـــيد رضـــا •

١١ــ ديـــوان أبو تمـــام بشرح التبريزى ــ شرح محمد عبده عزام •

١٢ــ ديـــوان الحطيئة بشرح أبى الحسن السكرى ــ مطبعة التقـــدم ســـنة ١٣٢٣ هـ •

١٣ــ ديـــوان مجنون ليـــلى جمـــع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ــ مكتبة مصـــر للطبـــاعة •

١٤ــ ســـر الفصاحة لابن ســـنان الخفاجى بتحقيق الصعيدى ــ نشر صـــبيح ســـنة ١٩٥٣ م •

١٥ــ شرح ابن يعقوب ضمن شروح التلخيص ــ طبع الحلبى وطبع مطبعة السعادة •

١٦ــ شرح الأشمونى ــ طبع دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابى الحلبى •

١٧ــ صحيح الترمذى بتحقيق إبراهيم عطوة عوض ــ طبع الحلبى •

١٨ــ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ــ طبع ١٩٥٢ م •

١٩ــ فهرس دار الكتب المصرية •

٢٠ــ الكامل للمبرد •

٢١ــ لسان العرب لابن منظور ــ دار المعارف •

٢٢ــ المثل السائر فى أدب الكاتب ــ الشاعر ابن الأثير ــ دار نهضة مصر ، مطبعة الرسالة ١٩٥٩ م •

٢٣ــ مطول على التلخيص ــ سعد الدين التفتازانى ــ مطبعة أحمد كامل •

٢٤ــ معجم المطبوعات ــ دار الكتب المصرية •

٢٥ــ مغنى اللبيب ــ بتصنيف عبد القادر بن عمر البغدادى ــ تحقيق عبد العزيز وأحمد يسرى ــ طبع مطبعة زين بن ثابت •

٢٦ــ الموازنة للآمدى بتحقيق صقر •

٢٧ــ الموقف الأدبى ١٩٦٣ م •

٢٨ــ هدية العارفين ــ دار الفكر •